الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر
في اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

الموضوع:

# ثنائية الاستغاثة ورثاء المدن في الشعر الأندلسي

إعداد الطالبة:
– بختيل شيماء

تحت إشراف الأستاذ:
– أ.د إبراهيم بوشريحة

أعضاء لجنة المناقشة

| (اللقب والاسم) | (الصفة) |
|---|---|
| د. الزهـرة يعقـوب | رئيـــــــسا |
| د. إبراهيم بوشريحة | مشرفا مقـــررا |
| د. دنيـــة باقـــل | عضوا مناقشـا |

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
صدق الله العظيم
سورة المجادلة: {الآية 11}

# إهـــــــــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني ومنحتني الحياة، وأحاطتني بحنانها وحرصت على تعليمي بصبرها وتضحيتها إلى من كان دعاؤها سر نجاحي أمي الغالية حفظها الله وشفاها لنا.

إلى الذي دعمني في مشواري الدراسي وكان وراء كل خطوة خطوتها في طريق العلم والمعرفة أبي الغالي رعاه الله.

إلى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي إخواني وأخواتي خيرة-حورية-فتيحة-رقية-هجيرة-أنفال-كوثر.

كما لا يفوتني أن أُخصَ إهدائي بذكر صديقي اللذين شاركاني عناء إنجاز هذه المذكرة: أمين والعربي.

وإلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير.

شيماء

# تشـــكرات

مِن مُنطلق "من لَم يشكر الناس لم يُشكر الله"

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور "بوشريحة إبراهيم" على تقبله وتفضله وتواضعه للإشراف على هذه المذكرة، فضلا على ما وهبني إياه من إرشادات وتوجيهات ونصائح قيمة.

كما أشكر جميع أساتذة ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها وكل إطارات القسم وعمال المكتبة.

# مقدمـــــة

**مقدمة:**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار المطهرين وعلى من سار على هداهم على يوم الدين أمّا بعد

لقد انتقل العرب والمسلمون إلى الأندلس في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، مع الفتوحات الإسلامية التي كان لها الأثر البالغ في إقامة الدولة الإسلامية في إسبانيا، فأسَّسُوا حضارةً زاهرةً كان لها شأنٌ كبيرٌ بين الأمم الأخرى، حيث ازدهرت دولة المسلمين في الأندلس أيَّما ازدهار نظرًا لما تميَّز به العرب والمسلمون في كُلِّ المجالات من حُكمٍ وعِلمٍ وثقافةٍ وغيرها من الأمور التي تنهض عليها مقوِّمات الحضارة والرقي والازدهار، فقد كانت الأندلس تشِعُّ فيها مختلف العلوم والفنون التي جعلتها تتبوَّأُ مكانةً مرموقةً قَلَّ نظيرها، ففي فن العمارة كانت مدن المسلمين في الأندلس من أحسن المدن في وأوروبا عامّةً وفي إسبانيا خاصَّةً نظرًا لما تميَّزت به قصورٍ راقيةٍ ورياضٍ جميلةٍ وحدائق ذات بهجة تتخلَّلها الجداول والأنهار والمياه العذبة التي كانت أحد أهمِّ مقوِّمات الحضارة الأندلسية، وما قصر الحمراء في الأندلس إلَّا خيرُ دليلٍ على براعة المسلمين في فن العمارة.

كما كانت الأندلس تشِعُّ فيها مختلف العلوم من علم الفلك إلى الجغرافيا إلى علوم اللغة إلى الشعر والنثر، وكُلُّ ذلك كان بفضل عناية ملوك المسلمين بجميع العلوم لإيمانهم بأنَّ أيَّةَ دولةٍ إذا أرادت أن يكون لها شأنٌ بين الأمم الأخرى فعليها أن تضع العلم هدفها الأول، وبالفعل فقد ازدهرت مختلف العلوم في الأندلس حتَّى أصبحت مركز إشعاعٍ علميٍّ يقصدها طالبو العلم من كلِّ حدبٍ وصوب.

ومن بين العلوم التي لقيت اهتمامًا كبيرًا من قبل الأندلسيين علوم اللغة العربية بمختلف مستوياتها فقد انبرى المسلمون في الأندلس إلى التأليف في النحو والصرف والتفسير والبلاغة وغيرها من العلوم التي تخدم اللغة العربية، حتَّى صارت اللغة العربية اللغة الأولى في الأندلس، وممَّا زاد من ازدهار اللغة العربية هناك أنَّ ملوك الأندلس كان لهم شغفٌ كبيرٌ بتعلُّمِ اللغة العربية والتمرُّسِ على أساليبها، كما كان الكثير منهم مؤلِّفون وكتَّاب.

وكُلُّ حضارةٍ تتوفَّرُ لها معالم التطوُّر والرقي لا بدَّ لها من أن تستغلَّ هذه العوامل من أجل النهوض بمجتمعاتها، والتعريف بتاريخها، والاهتمام بعلومها، والعمل على جعل لغتها لغة العلم والمعرفة وتشجيع

أبنائها على الاعتزاز بها والعمل على النهوض بها لتكون هي المحرّك الأساس للنهضة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى هذا الأساس كان المسلمون في الأندلس يُدركون

جيّدًا أنَّهم إذا أرادوا أن يُشيّدوا دولةً قويةً ومزدهرةً عليهم أن يجعلوا اللغة العربية هي لغة العلم والثقافة ولذلك بادروا منذ أن وطأت أقدامهم الأراضي الأندلسية إلى أن تكون اللغة العربية هي لغة البَلَاطِ ولغة العامَّة، فتهافت عليها الناس لتعلُّمها ودراستها، فبُنيت المساجد لإقامة الصلوات وتعليم الناس أمور دينهم، فانبرى الأئمَّةُ إلى تعليم الناس القرآن الكريم، وشرح التفاسير وتحفيظهم المتون، وشُيِّدت المدارس لتعليم الناس علوم النحو والصرف والشعر والنثر وكلُّ ما يتعلَّق بأمور اللغة.

والشعر كان ولا يزال ديوان العرب، فهو الذي ينقل أخبارها ويُخلِّد مآثرها، ويذكر مناقبها، ويحكي تاريخها، وقد كانت العرب قبل الإسلام لا تُهنِّئ إلَّا لميلاد غلام أو ميلاد فرس أو نبوغ شاعر في القبيلة، لأنَّ الشاعر يُعتبر لسان حال القبيلة، فهو الذي يُعلي من شأنها أمام القبائل الأخرى، ويحُطُّ من شأن أعدائها، نظرًا لما يملكه من قدرة على الوصف والمدح والهجاء، وكان الشاعر يحظى بمنزلة مرموقة في قبيلته لأنَّه هو الذي يُلتجأُ إليه وقت الحاجة، وكان الملوك والحكَّام يُغدقون على الشعراء بالأموال والهدايا، ويُقرّبونهم منهم ليكونوا في خدمة ملكهم.

وقد سار العرب في الأندلس على هذه السيرة، حيث حظِيَ الشعر باهتمامٍ كبيرٍ من قبل الملوك والأمراء، فكانوا يُقرِّبون الشعراء ويُغدقون عليهم بالأموال والهدايا ويُقرِّبونهم إليهم، فكان للشعراء مكانة مميَّزة في العصر الأندلسي، بل وكان هناك شعراء البلاط الذين كانت كلمتهم مسموعة من طرف الحكَّام، وممَّا ساعد على ازدهار الشعر في العصر الأندلسي هو أنَّ معظم ملوك وأمراء الأندلس كانوا شعراء، فكانوا يولون اهتمامًا بالغًا بهذا الفن.

وقد عرف الشعر في الأندلس فنونًا وأغراضًا كثيرة، مثل المدح والفخر والهجاء والرثاء والاستغاثة وغيرها، فبعد أن كان الشاعر في العصر الجاهلي يبدأ قصيدته بالبكاء على الأطلال ثمَّ وصف راحلته ثمَّ يُعرّجُ على الموضوع الذي يُريد أن ينظم فيه قصيدته، أصبح الشاعر الأندلسي يختار غرضًا واحدًا كأن يكون مدحًا أو فخرًا أو رثاءً أو استغاثةً أو هجاءً فينظم فيه قصيدته كلُّها، ومن بين الفنون الشعرية التي شاعت وازدهرت في الشعر الأندلسي فنَّيْ الاستغاثة والرثاء اللذَيْن هما موضوع بحثنا هذا فقد عمد

الشعراء الأندلسيون إلى هذَيْنِ النَوْعَيْن من الشعر للتعبير عن عواطفها وآلامها وآمالهما بعد أن أصبح التناحر والتطاحن على الحكم بين ملوك وأمراء الطوائف في الأندلس السمة الغالبة على دويلاتها، وهو ما جعلها محلَّ أطماع أعدائها الصليبيين الذين كانوا يتربَّصون بها، ويتصيَّدون الفرص للإغارة عليها واستردادها من المسلمين، وهو ما حدث فعلًا، حيث أصبحت الدويلات والممالك تسقط الواحدة تلوى الأخرى.

هذه الفاجعة الأليمة التي حلَّت بالمسلمين الأندلسيين جعلت الشعراء يُفجِّرون قرائحهم وينظمون قصائدَ يبكون فيها حال الأندلس ويصفون فيها ما لحق بهم ظلمٍ وجورٍ، ويبعثون بها إلى ملوك المغرب العربي لعلَّهم يجدون من يسمع آهاتهم وأنينهم ويُسارع إلى نجدتهم ويُخلِّصهم من أعدائهم.

والرثاء في الشعر الأندلسي لم يقتصر على رثاء الأشخاص فقط، بل تعدَّاه إلى رثاء المدن والممالك الزائلة وكذلك رثاء الأنفس.

ومن هذا المنطلق كان موضوع بحثنا موسومًا بـــ:" ثنائية الاستغاثة ورثاء المدن في الشعر الأندلسي" وعليه نطرح الإشكالية التالية:

-ما هو مفهوم ثنائية الاستغاثة والرثاء في الشعر الأندلسي؟ وما هي العلاقة بينهما؟ ولماذا انتشر هذا النوع من الشعر؟ وما كان الغرض منه؟

واختياري لهذا الموضوع كان لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الأسباب الذاتية فتعود لشغفي بدارسة الأدب الأندلسي وخاصَّةً الشعر الأندلسي وخصائصه ومخلف فنونه، أمَّا الأسباب الموضوعية فتتمثل في تناسب هذا النوع من الدراسات للتخصص الذي أدرسه وهو الدراسات الأدبية، وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين.

**مقدمة** كانت عبارة عن تمهيد للموضوع، أمَّا **المدخل** فقد كان بعنوان:" **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في الأندلس أثناء الحكم الإسلامي**" تطرَّقت فيه على الحياة السياسية في الأندلس أثناء عصر الدولة الأموية وعصر الولاة وفي عهد حكم الطوائف، كما عرَّجت على أسباب ازدهار العلم والأدب في الأندلس، ومن بينها تشجيع الملوك والأمراء للعلم والعلماء، ورحلة العلماء

المشارقة إلى الأندلس ومساهمتهم في نشر العلوم والأدب هناك، وكذا رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق العربي للنهل من علمائه.

**الفصل الأول جاء بعنوان:" الرثاء في الشعر الأندلسي"** تضمَّن ثلاثة مباحث، **المبحث الأول** جاء بعنوان:" **رثاء المدن**"، تناولت فيه رثاء الشعراء الأندلسيين للمدن والممالك الزائلة، **والمبحث الثاني** فقد جاء بعنوان:" **رثاء الأشخاص**"، عالجت فيه رثاء شعراء الأندلس للملوك والأبناء والأحباب، أمَّا **المبحث الثالث** الذي كان معنونًا بـ:" **رثاء الأنفس**" فقد رصدت فيه رثاء بعض الشعراء لأنفسهم نظرًا للظروف التي مرُّوا بها والزجِّ بهم في غياهب السجون.

أمَّا **الفصل الثاني** وهو الفصل التطبيقي فجاء بعنوان:" **الاستغاثة في الشعر الأندلسي**" تضمَّن هذا الفصل بعض القصائد التي نظمها أصحابها مستنجدين بملوك المغرب العربي يطلبون منهم العون والنجدة لانتشالهم من الذل والقهر والظلم الذي سلَّطه عليهم الصَّليبيون، ومن هذه القصائد نجد **قصيدة لأبي جعفر القشي البلنسي** كتبها إلى أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن لنجدة إخوانه في الأندلس، **وقصيدة أخرى** استنجد فيها **ابن الأبَّار** بأبي زكريا الحفصي على نجدتهم بعد ضياع بلنسية، واستجابة أبو زكريا لندائه وعبور جيشه للبحر استجابة للنداء، وهناك **قصيدة أخرى** استنجد فيها **ابن الأحمر** بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، تناولت فيه الحالة التي آلت إليها الأندلس والسبب الذي دفعه إلى طلب النجدة، وهناك أيضًا **قصيدة** أخرى نظمها الشاعر **أبو موسى هارون بن هارون** إلى المعتضد بن عبَّاد تكلَّمت فيها عن السبب الذي جعله ينظم هذه القصيدة، كما تضمَّن هذا الفصل أيضًا قصيدة كتبها ابن الأبَّار استنجد فيها بصاحب إفريقية" تناولت فيها حملة الصليبيين على الأندلس والفتك بأهلها و هو ما جعل ابن الأبَّار يستنجد بصاحب إفريقية، وآخر **قصيدة** تضمَّمها هذا الفصل هي قصيدة يُقال أنَّ صاحبها **مجهول** استنجد فيها صاحبها بالسلطان بايزيد العثماني" عالجت فيها الحالة التي آلت إليها الأندلس في هذه الفترة العصيبة من تاريخها وطلب النجدة من السلطان العثماني.

وذيَّلت هذا البحث بخاتمة فيها أهم النتائج المتوصل.

وهذه الخطة استدعت مني منهجًا علميًا يتماشى وطبيعة الموضوع، فكان المنهج الوصفي هو المنهج المناسب لهذا الموضوع، حيث يقوم عل تتبع هذه الأغراض الشعرية.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث نجد:

**-أحمد بن محمد المقري التلمساني" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب".**

**-ابن سعيد الأندلسي" المقتطف من أزهار الطرف.**

**-أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى" البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب".**

**-شوقي ضيف" تاريخ آداب العرب".**

**-عبد العزيز عتيق" الأدب العربي في الأندلس".**

إلى غيرها من المصادر والمراجع التي تُعد روح ونفس هذا البحث.

ولا يخلو أيُّ بحث من الصعوبات، لأنَّ البحث يتطلَّب صبرًا وجهدًا ووقتًا أكبر، ونحن كغيرنا من الباحثين واجهتنا صعوبات جمَّة في إنجاز هذا البحث، ويأتي على رأس هذه الصعوبات الحالة الوبائية التي مسَّت العالم بأسره المتمثلة في وباء كورونا، يضاف إليها غلق الجامعات والمكتبات التي تُعدُّ أهم ما يحتاجه الباحث لإنجاز بحثه، وكذا صعوبة الاتصال بالأستاذ المشرف.

وقبل أن أضع قلمي لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف **بوشريحة إبراهيم** الذي صبر معي طيلة مدة هذا البحث، ولم يبخل عليا بأي شيء احتجته من إرشاد وتوجيه وتصويب، كما أشكر أعضاء اللجنة العلمية الموقرة على تكرُّمهم في مناقشة هذا البحث المتواضع من أجل تصويب ما صدر مني من الخطأ والزلل، والله الموفق للصواب.

**بختيل شيماء.**

**تيارت في: 2020/09/14..**

..

# مـــــدخل

# مـــــــدخل:

**1–** تمهيد.

**2–** الأندلس.

**3–** الحياة السياسية في الأندلس (عصر الولاة، الدولة الأموية، ملوك الطوائف).

**4–** الحياة الاجتماعية والفكرية في الأندلس.

5– أسباب ازدهار العلم والأدب في الأندلس (تشجيع الأمراء والخلفاء، رحلة العلماء المشارقة إلى الأندلس، رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق، جمع المؤلفات وإقامة المكتبات...).

**6–** الشعر العربي الأندلس.

**7–** فنون الشعر في الأندلس.

## 1- تمهيد:

الأندلس إحدى حواضر المسلمين في إسبانيا، كان لها شأن كبير لما كانت تتميز به من مناظر طبيعية خلابة أسرت القلوب والعقول مما الشعراء يبدعون في وصفها، فألفوا فيها قصائد ما زالت تدرس حتى الآن نظرا لقيمتها الجمالية والفنية، وهو ما يعكس قدرة الشعراء الأندلسيين على الإبداع الفني عامة والإبداع الشعري خاصة.

كما كانت الأندلس منارة للعلم والأدب بسبب اهتمام حكامها بالعلم والأدب، وتشجيع العلماء والأدباء وتقريبهم من بلاط الحكام، فكان هذا دافعا لهم على التنافس العلمي والأدبي والتأليف في شتى العلوم والفنون، وكانت مكتبة الأندلس من أشهر المكتبات لا تقل شأنا في ذلك العصر عن مكتبة بغداد نظرا للكم الهائل من الكتب التي كانت تعج بها الرفوف، وهو ما كان دافعا لسكانها على التهافت على المكتبة والنهل منها، فكان هذا الأمر أحد المقومات الأساسية لقيام الحضارة في الأندلس.

## 2- الأندلس :

يقول الكثير من الباحثين أن العرب لم يعرفوا هذا الاسم إلا بعد فتحها، وفي هذا الشأن يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: "أن العرب لم يعرفوه إلا في الإسلام، حيث أطلقوه على شبه جزيرة إبيريا بعد فتحها. وأصل هذا الاسم مشوب ببعض الغموض، شأنه في ذلك شأن الاسمين القديمين: ابيريا عند اليونان، وإسبانيا عند الرومان.[1]

كما ذكروا في سبب التسمية عدة روايات، ومنها رواية أحمد بن محمد المقري التلمساني في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" قوله: "وأول من سكن الأندلس على قديم الأيام فيما نقله الإخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالأندلس – معجمة الشين – بهم سمي المكان، فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة".[2]

---

[1]– **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1396هـ - 1976م، ص: 9.

[2]– **أحمد بن محمد المقري التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط، 1388هـ - 1968م، مج 1، ص: 133.

وأضاف الشيخ أحمد التلمساني قائلا: "إنما سميت بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح، لأنه نزلها، كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها، وإليه تنسب سبته، والأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي، لأنهم إما عرب أو متعربون.[1]

كما نقل التلمساني عن الوزير لسان الدين الخطيب" في بعض كلامه أجر فيه ذكر البلاد الأندلسية ما نصه: "خص الله تعالى بلاد الأندلس مر الريع وغدق السقيا، ولذاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه، وتبحر العمران، وجودة اللباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصحة الهواء، وأبيضا من ألوان الإنسان، ونبل الأذهان، وقبول الصنائع، وفي رواية فنون الصنائع، وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك، وإحكام التمدن والاعتمار، بما حرمه الكثير من الأخطار مما سواها.[2]

نلاحظ أن الأندلس حياها الله بمناظر طبيعية خلابة ومنابع مياه عذبة، وفواكه متنوعة، كما أن سكانها برعوا في الصناعة، كما تميزوا بشهامة الطباع، وقوة الإدراك والحكمة، مما جعلها تتميز عن غيرها من المدن الأخرى سواء في أوروبا، أو البلاد العربية الأخرى.

وقد بالغ القدماء في وصف الأندلس وصفا دقيقا يصور لنا مناظرها الطبيعية الخلابة وما تحويه من آثار الأمم التي استوطنت في هذه الأرض، فقد نقل أحمد المقري التلمساني عن أبو عبيد البكري قوله : "الأندلس شامية في طيبها وهوائها ،يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة، وكان من ملوكهم الذين أثّروا الآثار بالأندلس هرقلس، وله الأثر في الضم بجزيرة قادس وضم جلّيقية، والأثر في مدينة طرّكونة، الذي لا نظير له".[3]

كل هذه الأوصاف تمثل خير دليل على سر الطبيعة في هذه الأرض، وهو ما جعل الأدباء والشعراء يتغنون بها في كتاباتهم وأشعارهم، ومدى تعلقهم بها.

---

[1]– **أحمد بن محمد المقري التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص: 125.

[2]– المصدر نفسه: ص: 126.

[3]– المصدر نفسه: ص: 126.

## 3- الحياة السياسية في الأندلس:

الحياة السياسية في الأندلس هي امتداد للحكم الأموي، فبعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق واستيلاء العباسيين على الحكم، ظلت الخلافة أموية في الأندلس، "إذ بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق سنة 132هـ دخل زعيم أموي هو عبد الرحمان بن معاوية الأندلس هربا من سيوف العباسيين، وأسس إمارة أموية في الأندلس توالى عليها عقبة فيما بعد، وقد لقب بعبد الرحمان الداخل".[1]

وتنقسم الحياة السياسية في الأندلس إلى عصور وفترات عديدة، وهذا بسبب الصراعات التي بين الأمراء والولاة للاستيلاء على السلطة، وقد أدى بهم الأمر إلى الاستنجاد بالأعداء وعلى إخوانهم، وتنقسم الحياة السياسية إلى:

### 3-1- عصر الولاة:

بعد أن فتح العرب الأندلس سنة 92هـ (711م) بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، تولى حكم الأندلس خلال هذه الفترة عشرون واليا، وكانت الأندلس ترتبط إداريا بشمالي إفريقيا وكانت أشبيليا في بداية الأمر هي القاعدة، ثم انتقلت بعض ذلك إلى قرطبة، وأبرز الأحداث في هذه الفترة تتمثل في مواصلة الجهاد، وإتمام الفتح في ما وراء ألبرت ...وفي هذه الفترة برزت الصراعات بين القيسيين واليمنيين لوجود العصبية القادمة من خارج الأندلس، الأمر الذي أثر على مواصلة الجهاد، وأدى إلى الاضطراب وعدم الاستقرار داخل الدولة".[2]

وبما أن الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي يلقي بضلاله على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، كان لهذا الاضطراب الأثر البالغ على الحياة الفكرية في الأندلس، إذ "لم تحظى الثقافة باهتمام بالغ من قبل واقع الأمر لأن البلاد على عهد حديث بالإسلام، تحتاج إلى فقهاء ورجال الدين يعلمون

---

[1]- **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، منشورات جامعة سبها، سبها، ليبيا، ط1، 2001، ص: 21.

[2]- المرجع نفسه: ص: 20-21.

الناس ويغرسون أسس العقيدة في أذهان المسلمين الجدد، كما أنّ فترة الفتح وما بعدها لم تشهد حضور أدباء مشارقه، والاهتمام بالأدب لا يزال مبكرا، وهو لا يزدهر إلّا في فترات الاستقرار".[1]

هذه الاضطرابات التي سادت المنطقة، وعدم الاستقرار الأمني داخل المجتمع الأندلسي، إضافة إلى غارات الصليبين جعل الاهتمام بالمجال العلمي والفكري والأدبي لم يحظ بنصيب وافر من الاهتمام.

### 3-2- الدولة الأموية:

بعد سقوط دولة الأمويين في الشام ، تعرض الأمويون للبطش والتقتيل ، ففر من استطاع من أمراء بني أمية للنجاة بنفسه وعائلته إلى شمال إفريقيا ، ومن بين هؤلاء عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بعبد الرحمان الداخل، حيث فر إلى المغرب، وبعد استقراره هناك "كانت تترامى إليه أخبار الأندلس التي مزقتها الانقسامات...فبعث مولاه بدر إلى من بالأندلس من الشاميين وموالي المروانيين وأشياعهم، فاجتمع بهم وبثوا له في الأندلس دعوة ونشروا له ذكرا ...ودخل الأندلس سنة 138 للهجرة في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي، وقد سمي عبد الرحمان بالداخل، لأنه أول داخل من أمراء بني مروان إلى الأندلس".[2]

وقد عرف عبد الرحمان الداخل بشجاعته وحنكته وتبصره حيث "جدد بذلك السلطان للأمويين بأوربة، وأسس هناك دولة مستقلة ثابتة الدعائم وطيدة الأركان، زاهرة بالعلوم والآداب وضروب الإصلاح، ورغب بالهجرة إليها فأمها جمهرة من المشارقة كانت لهم – بفضل مساعدته – أياد بيض في نشر العلوم والمعارف هناك".[3]

بعد تقلد عبد الرحمان الداخل مقاليد الحكم في الأندلس، وبسطه للاستقرار بعض الشيء وإن كان لا يزال مشغولا بالجهاد والفتوحات ومواجهة الصليبين ، إلا أن فترته كانت مشرقة ، حيث يقول الدكتور محمد سعيد محمد :"شهدت هذه الفترة بدايات الثقافة في شتى المجالات ، ونال الأدب شعرا

---

[1]– المرجع نفسه: ص: 21.

[2]– **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 52.

[3]– **عبد العزيز محمد عيسى**: الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الإستقامة، القاهرة، مصر، دط، دت، ص: 18.

ونثرا اهتماما من قبل أمراء بني أمية الذين كان جلهم يقرظ الشعر ، ابتداء من عبد الرحمان الأول (الداخل) ، وفي ظل بعض الاستقرار الذي شهدته الدولة انطلق شذاه الأدب واللغة والعلوم الأخرى إلى المشرق للاغتراف من معينه العلمي النثر و العودة إلى الأندلس لنشر هذه الثقافة فيها".[1]

إذن بعد أن وصل عبد الرحمان الداخل إلى الحكم في الأندلس، وبعد عودة الاستقرار تدريجيا بدأ العلماء والأدباء المشارقة يهاجرون إليها، وهنا بدأت الحركة الأدبية في النشاط، وبدأ التأليف ينال العناية والاهتمام اللازمين، وبدأ الاهتمام بالعلماء والأدباء وتشجيعهم.

### 3-3- ملوك الطوائف:

عظم الصراع على الحكم في الأندلس بين الأمراء الذين تولوا الحكم، حيث كل واحد منهم يريد أن ينفرد بالحكم، فكان ذلك بداية لظهور حكم الطوائف (ملوك الطوائف)، وفي هذا الشأن يقول الدكتور محمد سعيد محمد:" أنتهز العديد من الطامعين فترة التمزق التي تعيشها الأندلس فأستقل كل منهم بإقليم من أقاليمها، فكان بنو جهور في قرطبة، وبنو عباد في اشبيلية، وبنو هود في سرقسطة، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو الأفطس في بطليوس، وبنو زيري في غرناطة، أما بلنسية فقد تداول عليها العديد من الأمراء".[2]

ورغم استقلال كل أمير بإمارة إلا أن نار الفتنة لم تهدأ، بل ظل الصراع قائما بين ملوك الطوائف، بل وصل الأمر ببعض الأمراء إلى الاستعانة بالفرنجة ضد خصومهم، فبدأت دويلات الأندلس تسقط في أيدي الفرنجة الواحدة تلوى الأخرى.[3]

---

[1]- **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 21.

[2]- **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 24.

[3]- ينظر المرجع نفسه: ص: 25.

ولما هال الأمر بالأندلسيين، وتيقنوا بأن الخطر قد أصبح محدق بهم من كل جهة، هم المعتمد بن عباد أن يطلب المعونة من المرابطين فحذره وزراءه من ذلك قائلين: "السيفان لا يجتمعان في غمد واحد"، فقال الكلمة الشهيرة: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير".[1]

في إشارة منه أنه إذا انقلب علي بن يوسف بن تاشفين وأسره وخلفه في الحكم أنه يفضل رعي جمال المسلمين خير له من أن يقع أسيرا في أيدي ملك قشتالة ألفونسوا السادس، ويصبح راعيا للخنازير عند الفرنجة فكتب المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين في المغرب، فسرعان ما لبى النداء، وعبر بجيشه إلى الأندلس ونصرة المسلمين هناك، فهزم بجيشه جيش ألفونسوا السادس في معركة الزلاقة سنة 1086/479م".[2]

غير أن ملوك الطوائف لم يأخذوا العبرة من تفرقهم وتناحرهم وإغارة العدو عليهم، بل عادوا إلى الحياة المجون والترف، ورأى أهل الأندلس معاودة انقضاض العدو عليهم، فاستنجدوا بيوسف بن تاشفين مرة أخرى، فأسرع إلى نجدتهم مرة أخرى سنة 483هـ /1090م، ولكن في هذه المرة شرع يوسف في خلع ملوك الطوائف الواحد تلو الآخر، بعد ما تثبت من تخاذلهم وتواطؤ بعضهم مع العدو.[3]

## 4- الحياة الاجتماعية والفكرية في الأندلس:

رغم الفتن والصراعات والتي كانت تميز الحياة السياسية في الأندلس، إلا أنه كانت هناك حياة اجتماعية وفكرية راقية، "عندما انهارت الخلافة الأموية وسادت الفوضى أرجاء الأندلس في عهد الفتنة ذوت الحضارة الأندلسية وخبت مظاهرها العمرانية والفكرية حتى جاءت دولة الطوائف فاستطاعت رغم تطاحنها أن تعيد بهاء الحضارة الأندلسية في قصورها ومنشآتها ومجتمعاتها وسطعت شمس الأدب والفكر".[4]

---

[1]- **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 99.

[2]- ينظر المصدر نفسه: ص: 99.

[3]- ينظر المصدر نفسه: ص: 99.

[4]- **نميري تاج السر أحمد لقمان**: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، اتجاهاته وخصائصه الفنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية قسم الدراسات الأدبية والنقدية، 1426هـ/2005 م، ص: 9.

إذن على الرغم من السلبيات الكثيرة التي ميزت دولة الطوائف من تناحر وتطاحن على الحكم، إلا انه كانت هناك أمور إيجابية، من بينها تشجيعهم للعلم والأدب وتعظيمهم للعلماء والأدباء والشعراء، وفي هذا الإطار يقول الدكتور محمد سعيد محمد:"كان أول ما قام به العرب بعد استقرارهم في الأندلس من أعمال بناء المساجد، التي كانت أماكن للعبادة والإفتاء في المسائل الدينية، إضافة إلى أنها استغلت في تعلم أهل البلاد المفتوحة الدين الجديد، وكانت الثقافة في البداية أدبية ولغوية ودينية، وبعد ذلك شملت فروع المعرفة، وكانت هذه العلوم وافدة إليهم من أرض الأجداد في المشرق، فاكبوا على قراءتها وتمثلها بنهم شديد".[1]

نستنتج من هذا القول أنّ العلوم الأدبية في الأندلس كانت تسير جنبا إلى جنب مع علوم الدين كما أن المساجد كانت أماكن تشع منها الدراسات الأدبية من شعر ونثر، ولم تكن مقتصرة فقط على العلوم الدينية من تعليم القرآن والإفتاء، أو علوم اللغة من نحو وصرف وغيرها، كما كان العلماء وأدباء المشرق دور كبير في ازدهار مختلف العلوم في الأندلس.

وقد برز في هذه الحقبة طائفة من العلماء والأدباء والمفكرين من بينهم: "الفيلسوف ابن حزم المتوفى سنة 456هـ والمؤرخ ابن حيان المتوفى سنة 469هـ والشاعر ابن زيدون المتوفى سنة 463هـ والشاعر والأديب ابن عبدون المتوفى سنة 520هـ، وغيرهم من الأدباء والمفكرين والشعراء، بل إن ملوك الطوائف أنفسهم كانوا في طليعة الأدباء والشعراء.[2]

ومن كثر احترامهم للعلماء وتبجيلهم يقول المقري التلمساني:" والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة، وما أشبه ذلك، ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة".[3]

---

[1]– **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 9.

[2]– المرجع السابق: ص: 9.

[3]– **حمد بن محمد المقري التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص: 220.

وكما كان ملوك الطوائف يوقرون العلماء، فقد كانوا كذلك يوقرون الشعراء ويجدون مكانة خاصة " فالشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم".[1] في هذا النص دليل على المكانة التي أولاها ملوك الطوائف للشعراء والشعر بصفة خاصة، والأدب بصفة عامة، وهو ما جعل الحياة الأدبية والفكرية تزدهر في الأندلس.

## 5- أسباب ازدهار العلم والأدب في الأندلس:

لكي تقوم أية حضارة وتزدهر ويذيع صيتها بين الحضارات الأخرى لابد لها من أسباب وعوامل لازدهارها، وقد كان لازدهار الحياة الثقافية والفكرية عدة أسباب أهمها:

### 5-1- تشجيع الأمراء والخلفاء:

حيث اهتم أمراء بني أمية وخلفاؤهم من ملوك الطوائف بالعلم والعلماء والشعراء، فقد ذكر محمد سعيد محمد أن "جل أمراء بني أمية وخلفاؤهم كانوا يقرضون الشعر، فالحكم بن هشام (180-206هـ) كان فصيحا بليغا شاعرا مجيدا أديبا نحويا وخطيبا مفوها وردت له أشعار في الفخر والغزل، وكان عبد الرحمان بن حكم بن هشام (206-238هـ) فصيحا مفوها شاعرا، وشغف الأمير محمد بن عبد الرحمان (238-273هـ) بالبيان، وأثر أهل الأدب، وله شعر في الفخر والغزل، كما كان المنذر بن محمد بن عبد الرحمان (273-275هـ) يجزل العطاء للشعراء، فينشدونه غازيا وراجحا، وعرف عن عبد الله بن محمد (275-300هـ) أنه كان أديبا شاعرا بصيرا باللغة حافظا لأشعار العرب وأيامها وسير الخلفاء، راوية للشعر".[2]

إذن لم يكن ملوك وأمراء الأندلس همهم الوحيد هو الملك فقط، بل كانوا أدباء وشعراء يعرفون قيمة العلم والأدب، وكانوا يشجعون عليه.

---

[1]- المصدر نفسه: ص: 222.

[2]- **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 28-29.

### 5-2- رحلة العلماء المشارقة إلى الأندلس:

فقد وجه ملوك وأمراء الأندلس وخاصة ملوك الطوائف الدعوة لعلماء المشرق للسفر إلى الأندلس ليستفيد أهلها من علمهم وأدبهم، ومن بين هؤلاء نجد: رحيل أبي علي القالي صاحب كتاب (الأمالي)من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة عبد الرحمان الناصر، حيث لقي عنده كل إكرام، واختص بابنه الحكم المستنصر، وأورث أهل الأندلس علمه، وكان أبو علي القالي إماما في اللغة حافظا لأشعار العرب.[1]

كما نجد أيضا "أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي، عالم اللغة والأدب والأخبار، فقد رحل إلى الأندلس في ولاية المنصور ابن أبي عامر، ونال عنده كل خطوة وجمع له كتابا سماه (الفصوص) نحا فيه منحى القالي في أماليه".[2]

وقد كان لهجرة هؤلاء العلماء الدور الكبير في ازدهار حلقات العلم والأدب حيث نشأت طائفة من أهل الأندلس تألف كما ألف، ومن هذه الطائفة نجد أبو عمر أحمد بن عبد ربي ربه صاحب كتاب (العقد الفريد)، فقد اعتمد على كتب أهل المشرق ونفائس أدبهم.[3]

### 5-3- رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق:

زيادة على رحيل المشارقة إلى الأندلس ليفيدوا أهلها بعلومهم، فقد رحل بعض الأندلسيين إلى المشرق لتحصيل العلم، ثم بعد عودتهم بدأوا بنشر هذه العلوم بين سكان الأندلس، ومن بين هؤلاء نجد:

"يحي بن يحي الليثي، فقد رجل إلى المدينة، وتتلمذ للإمام مالك، وأخذ عنه كتابه "الموطأ "كما سافر إلى مصر وأخذ من أكابر علمائها، ثم عاد ونشر علمه بين أهل الأندلس".[4]

---

[1]- **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 150.

[2]- المصدر نفسه: ص: 150.

[3]- المصدر نفسه: ص: 150.

[4]- المصدر نفسه: ص: 151.

### 5-4- جمع المؤلفات وإقامة المكتبات:

هذه الوسيلة لها دور كبير هي الأخرى في نشر العلوم والمعارف في الأندلس. "وتتمثل في جمع الكتب وإقامة المكتبات العامة يؤمها الدارسون والباحثون، وقد كان لهذه الوسيلة دورها هي الأخرى في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بالأندلس، وتحريك همم الناس للإقبال على قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم.[1]

كل هذه العوامل والوسائل كان لها الدور البارز في تنشيط الحركة العلمية والأدبية في الأندلس يضاف إلى هذا كله شغف الأندلسيين وحبهم للعلم، الأمر الذي ساهم في ازدهار حضارة الأندلس.

### 6- الشعر العربي الأندلسي:

قبل أن نتطرق إلى قضية الشعر العربي الأندلسي، حري بنا أن نعرض لمفهوم الشعر عند العرب، والذي يعتبر ديوان العرب، فهو يخلد مآثرهم وبطولاتهم، ويصف طبائعهم وأنسابهم إلى غير ذلك من المسائل التي يضمنها الشعراء في أشعارهم. فالشعر هو: "الكلام الموزون المقفى يدل على معني".[2]

كما عرف الدكتور عبد الرؤوف أبو السعد الشعر بقوله: عرف العرب الشعر على أنه بوح وجداني، وتدفق للمعاني والأخيلة، وسديم من العواطف، وجيشان قلبي، وكم نغمي ينساب –خلال العمل الشعري–وداعة وإيحاءا وتأثيرا، ولم يعرفوه على أنه كلام مقفى إلا عندما طغت الاتجاهات العقلية والمنطقية لدى النقاد العرب أمثال قدامة بن جعفر".[3]

وتعريف الشعر عند ابن طباطبا حسب الدكتور جابر عصفور هو: "كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم، بما خص به النظم الذي إن عدل عن جهته محبه الإسماع، وفسد على الذوق، ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر

---

[1]– المرجع نفسه: ص: 154.

[2]– **أبو الفرج قدامة بن جعفر**: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 64.

[3]– **عبد الرؤوف أبو السعد**: مفهوم الشعر العربي في ضوء نظريات النقد العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، دت، ص: 15.

بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيح وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه".[1]

فالشعر من خلال هذا النص هو ذلك الكلام المنظوم و الموزون الذي تطرب له الأذان ،وتستسيغه الأذواق، ويكون له وقع في النفوس ،أما إذا عدل فيه عن جهة النظم محبه الإسماع، وفسد على الأذواق، وفقد صفة الجمالية، ثم يضيف الدكتور جابر عصفور قائلا: "أهم ما في التعريف أنه يحدد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات، صحيح أن التعريف لا يشير صراحة إلي القافية إلا أنها متضمنة فيه، و التعريف –فضلا عن ذلك–لا يهتم بالجانب التخييلي من الشعر، حيث مصدره أو تأثيره ،وإنما يهتم بالجانب بالشعر في ذاته باعتبار بنية لغوية منتظمة علي أساس من الطبع و الذوق. وكأن الدكتور جابر عصفور حصر الشعر في الشكل الخارجي للقصيدة دون الجانب التخييلي للشاعر على الرغم مما كان سائدا في عصر الملوك الطوائف من تناحر و تطاحن على الحكم إلا أن الشعر نال عناية كبيرة من الملوك والأمراء، لأن معظمهم كان يقرظ الشعر، "فقد ازدهر الشعر في القرن الخامس الهجري، ازدهارا عظيما حتى عرفت فيه الأندلس أكبر إشراق شعري في تاريخها الأدبي، وظهر عدد كبير من الشعراء الذين صاغوا أحاسيسهم و مشاعرهم في قصائد رائعة ترددها الأجيال جيلا بعد جيل، وأصبحت المدائح تجارة رابحة، فقد كان إدريس بن اليماني لا يمدح أحدا بقصيدة إلا بمائة دينار".[2]

غير أنه و بالرغم من تشجيع أمراء الطوائف وولاتهم للشعراء، فقد تميزت ثلاثة بلاطات بحرصها الشديد على النهوض بالحركة الأدبية و الشعرية وهي: "بلاط بني عباد بأشبيلية و بلاط بني الأفطس ببطليوس، وبلاط بني صمادح بألمرية...وصارت إشبيلية في عهد المعتمد بن عباد رائدة الحركة العلمية والأدبية التي سادت ذلك العصر، فلم يجتمع بباب أحد من ملوك عصر من أعيان الشعر فاضل الأدباء

[1]– **جابر عصفور**: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 1995، ص: 29.

[2]– **أحمد بن لخضر فورار**: الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الدوكتوراه دولة في الأدب العربي القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، العام الجامعي، 2004-2005، ص: 104.

ما كان يجتمع ببابه...وكان من شعراء بني عباد: ابن زيدون، وابن عمار، ابن وهبون، وابن اللبانة، وابن حميدس، ومن كتابهم ابن عبد البر، وابن القصيرة".[1]

وبالإضافة إلى مملكة إشبيلية فقد كان بنو الأفطس ملوك بطليوس "ملجأ لأهل الأدب ...وكان رائدهم المظفر أديب ملوك عصره، شغوفا بالشعر والآداب، ناقدا لها فقد كان يقول: من لم يكن شعره مثل المتنبي والمعري فليسكت ولا يرضى بدون ذلك.

ومن بين شعرائهم: ابن البين، ابن عبدون، ومن كتابهم ابن قزمان وابن القبطرنة.[2]

والأمر نفسه نجده عند المعتصم بن صمادح بألمرية، إذ كان يعمل على استقطاب أهل الشعر والأدب، وكان يقصده الشعراء والأدباء، فقد وصفه ابن بسام بقوله: (كان رحب) الفناء جزل العطاء، حليما عن الدماء والدهماء، طافت به الآمال، واتسع في مدحه المقال، وأعملت في حضرته الرحال، وقد لزمه جملة من الشعراء كأبي عبد الله بن الحداد، وأبي الفضل بن شرف، وابن عبادة القزاز، وابن شهيد وغيرهم.[3]

إذن فقد كان لملوك الطوائف فضل كبير في ازدهار الأدب عامة الشعر خاصة في الأندلس.

## 7- فنون الشعر في الأندلس:

لقد خاض الأندلسيون في شتي فنون الشعر من وصف ومجون وغزل ومدح ورثاء واستنجاد وغيرها، بل وخاضوا حتى في الشعر الفلسفي، وشعر الزهد، وشعر التصوف، والحكم والأمثال، كما أبدعوا أغراضا أخرى مثل الموشحات والأزجال، والتحرر من القافية وغيرها.

---

[1]- المرجع نفسه: ص: 105.

[2]- ينظر المرجع نفسه: ص: 105-106.

[3]- ينظر المرجع نفسه: ص: 107.

يقول الدكتور عبد العزيز محمد عيسى: "لم يترك الأندلسيون حالة من حالاتهم النفسية والاجتماعية إلا نظموا فيها الشعر ولم يدعو غرضا من الأغراض التي يصح أن يقال فيها إلا ضربوا فيه بسهم، فلا تكاد تجد ناحية من نواحي الحياة عندهم لم يسجل لهم فيها شعر".[1]

وأضاف الدكتور عبد العزيز محمد عيسى يقول: غير أن هذه الفنون التي نظموا فيها لم تستجب لهم جميعا استجابة متحدة، ولم تكن إجادتهم فيها بنسبة واحدة، بل كان منها ما بلغو فيها الذروة وجازوا الغاية، كالوصف والغزل والرثاء وما إلى ذلك مما كانت حياتهم وحضارتهم داعية إليه وموجبة للإكثار منه والافتنان فيه–ومنها ما لم يطاوعهم كل المطاوعة ولم يلب نداءهم كما يشاؤون لأسباب".[2]

لكن على الرغم من أن الأندلسيين لم يوفقوا في بعض الأغراض الشعرية، إلا أنهم خلفوا تراثا شعريا زاخرا مازال يدرس حتى الآن من طرف الأدباء والباحثين والنقاد نظرا لما يتميز به من خصائص تميزه عن الشعر في المشرق العربي.

وبخصوص الشعر والشعراء في الأندلس يقول ليفي برونفسال:"أن الشعر الفني في الأندلس له مواضيع متعددة جدا، وأنها ليست مستلهمة ومستوحاة من طبيعة ذات جمال من نوع خاص فحسب، وإنما أيضا من الحب والصداقة والمديح والهجاء واللذة والألم، والتفاؤل والشعور المفجع بالحياة، وقد كانت كلها مستقاة من جميع عصور ماضي الإسلام في إسبانيا، وخاصة من القرن الحادي عشر (ميلادي)، وهي تكشف بلا شك عن نبرة عريقة في أصالتها وشعراء أقوياء الشخصية لم تصب فيهم المؤثرات القصية منالا أو كانت تتلاشى قبل وصولها".[3]

---

[1]– **عبد العزيز محمد عيسى**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 111.

[2]– المرجع نفسه: ص: 111.

[3]– **ليفي برونفسال**: حضارة العرب في الأندلس، تر، دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص:64.

وهذا دليل على أصالة الشعر العربي في الأندلس، ورد صريح على الذين قالو "أن هذا الشعر ليس إلا مجرد تمارين بلاغية مصوغة من لغة أدبية تقليدية ومتكلفة (أي شيئا مثل الشعر اللاتيني الذي كان ينظمه أدباء عصر النهضة إثباتا لقدرتهم المدرسية على إجادة اللغة اللاتينية".[1]

ومن بين الأغراض الشعرية التي ابتدعها الأندلسيون شعر الموشح ،وقد ذكره ابن خلدون في المقدمة حيث قال: وأما أهل الأندلس ،فلما كثر الشعر في قطرهم، و تهذبت مناحيه و فنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ،استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى أخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها و يمدحون كما يفعل في القصائد، وتجاروا في ذلك إلي الغاية ، واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله و قرب طريقه".[2]

فهذا الفن من الشعر يعد الأندلسيون أول من ابتدعه، وقد لقي رواجا كبيرا لسهولة تناوله كشعر غنائي، وذكر ابن سعيد الأندلسي أن المخترع لهذا النوع مقدم بن معافى القبري، ومن برع في هذا النوع عبادة القزاز، فقال: "فأما الموشحات فقد ذكر الحجازي في كتاب "المسهب في غرائب المغرب "أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المر والي، وأحذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية، وقد ذكر الأعلم البطليوسي أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول: كل الوشاحين عيال علي عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

---

[1]– **إميليو غومس، داما سوأ لونسو وماريا خيسوس بيجيرا:** ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، تر، محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1999، ص: 55.

[2]– **ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد):** مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب دمشق، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص:425.

بَدْرُ تَمْ شَمْسُ ضُحَى غُصْنٌ نَقَا مِسْكٌ شَمْ
مَا أَتَمْ مَا أَوْضَحَـــا مَـــا أَوْرَقَـــا مَـــا أَنَم
لَا جَرَمْ مَـنْ لَمَحَـا قَـدْ عَشِقَـا قَدْ حُرِمْ[1]

ثم بعد ذلك أخذت الموشحات تنتشر في الأندلس، وكثر الوشاحين، وتعدى هذا الفن الشعري حدود الأندلس، حيث وصل إلى المشرق العربي لكنهم عانوا من التكلف فيه، ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري، التي اشتهرت شرقا وغربا.[2]

ومن بين فنون الشعر التي سادت في الأندلس فن مدح الأمراء والولاة وتهنئتهم عند مبايعتهم بتولي الملك، ومن هذه النماذج قول ابن عبد ربه صاحب "العقد الفريد" يهنئ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بعد مبايعته ملكا خلفا لجده عبد الله يقول:

بَدَا الهِـــلالَ جَدِيدًا وَالمُـلْكُ غَضٌّ جَدِيدُ
يَـا نِعْمَـةَ اللهِ زِيدِي مَا كَـــانَ فِيكِ مَزِيـدُ
إِنْ كَـانَ لِلصَّوْمِ فِطْرٌ فَـأَنْتَ لِلدَّهْرِ عِيــدُ
إِمـــَامُ عَدْلٍ عَلَيْـــهِ تَاجَـــانِ بَأْسٌ وَجُـودُ
يَوْمَ الخَمِيـــسِ تَبَدَّى لَنَـــا الهِلالُ السَّعِيـدُ
فَكُـــلَّ يَـومِ خَمِيسٍ يَكُـونُ للنَّـاسِ عِيدُ[3]

وقد دأب شعراء الأندلس على تهنئة الملوك والأمراء كلما كان هناك مبايعة أو بشر أحدهم بما يسره، ومن ذلك تهنئة الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه مهنئا عبد الرحمان الناصر بمناسبة مولد ولي عهده الحكم بن عبد الرحمان الناصر قائلا:

هِلالٌ تَمَّاهُ البَدْرُ وَاخْتَارَهُ الفَجْـرُ تَلَقَّـــتْ بِهِ شَمْـــسٌ وَأَنْجُمُهُ زَهْرُ
عَلَى وَجْهِهِ سِيمَا المَكَارِمِ وَالعُلَى فَضَاءَتْ بِهِ الآمَالُ وَابْتَهَجَ الشِّعْرُ
سُلالَةُ أَفْـــرَاسٍ وَبَيْتُ خَـلايِفِ أَكُفُّهُـــمْ بَحْـرٌ وَنَـــايُلُهُمْ غُمْـــرُ

[1]– **ابن سعيد الأندلسي**: المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق: سعيد حنفي حسنين، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2004، ص: 255.
[2]– ينظر المرجع السابق: ص: 433.
[3]– **محمد عبد الله عنان**: دولة الإسلام في الأندلس، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4 ،1417هـ-1997م، ص: 374.

بَـــدَا لصَلاةِ الظُّهْرِ تَجْمُ مَكَـــارِمٍ تَحُفُّ بِهِ العُلْيَـــا وَيَكْنِفُهُ الفَخْـــرُ
ثُمَـــاهُ إِلَـــى العَلْيَـــاءِ خَيْرُ خَلِيفَةٍ تَتِيهُ بِهِ الدُّنْيَـــا وَيَزْهَى بِهِ العَصْرُ[1]

زيادة على شعر المديح والتهنئة ازدهرت فنون شعرية أخرى كالوصف، والغزل والحنين والحكمة والهجاء والمجون والزهد والتصوف وغيرها، غير أن بحثنا هذا خصصناه لفني الرثاء والاستنجاد، وسنخصص لهما الفصلين والأول والثاني إن شاء الله.

[1]– ينظر المرجع نفسه: ص: 376.

# الفصـــل الأول

# الفصل الأول:

تمهيد.

الرثاء لغة.

الرثاء اصطلاحا.

المبحث الأول: رثاء المدن.

المبحث الثاني: رثاء الأشخاص.

المبحث الثالث: رثاء الأنفس.

**تمهيد:**

الرثاء غرض شعري قديم في الأدب العربي، فقد عرفه العرب منذ العصر الجاهلي، حيث كان الشعراء العرب يقفون على الأطلال فيكون عليها وعلى أهلها، فيبدأ الشاعر بذكر الديار فيصفها وصفًا رائعًا كيف كانت تشع فيها الحياة، وكيف كانت عامرة بأهلها، ثم بعد ذلك يبدأ برثاء أهلها، فيذكر مناقبهم وخصالهم وشيمهم وبطولاتهم، وهو "غرض شعري قديم وبارز في الأدب العربي، عرفه الإنسان منذ أيقن بعدم قدرته على الخلود والبقاء، وأن مصيره الموت والفناء لا محالة، لذا أخذ الناس يبكون موتاهم بكاءً يُصوّر حزن الإنسان على أخيه الإنسان، ويبكي نفسه من خلاله لأنه سيؤول إلى المصير نفسه الذي آل إليه أخاه".[1]

ورثاء الإنسان لأخيه الإنسان يتخذ ثلاثة ألوان هي:

**اللون الأول: الندب**

"وهو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والألفاظ المحزنة التي تصرع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، إذ يُوَلْوِل النائحون والباكون ويصيحون ويَعُولُون مسرفين في النحيب والنشج وسكب الدموع".[2]

**اللون الثاني: التأبين**

"هو مدح الميت والبكاء عليه، وأصل التأبين الثناء على الشخص حيا أو ميتا، ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط، فهم لا يُظهِرُون حزنهم على هذا الميت فحسب، وإنما الإشادة بخصاله الحميدة، إذ كان من عادة العرب في الجاهلية أن يقفوا على قبر الميت فيذكر مناقبه، ويُعدّدوا فضائله،

[1]– **خالد شكر محمود صالح الفراجي**: شعر الرصافي الرفاء البلنسي، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1424هـ-2003م، ص: 75.

[2]– المرجع نفسه: ص: 75.

ويُشهروا محامده، وشاع ذلك عندهم، دار بينهم، وأصبح في سننهم وعاداتهم ولو لم يقفوا على القبور كأنهم يريدون أن يحتفظوا بذكرى الميت على مرّ السنين".[1]

**اللون الثالث: العزاء**

"وهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، ينقذ الشاعر من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي به هذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة".[2]

**الرثاء لغة:**

والرثاء في اللغة يدلّ على الرّقّة والإشفاق، حيث جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ) قوله: "رثى: الراء والثاء والحرف المعتل أُصَيْلٌ على رقّةٍ وإشفاقٍ، يقال رَثَيْتُ لفلان: رَقَقْتُ. ومن الباب قولهم رَثَى الميّت بشعرٍ. ومن العرب من يقول: رَثَأْتُ، وليس بأصل، ومن الباب الرَّثْيَةُ: وجع في المفاصل".[3]

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) قوله: "رثى فُلانٌ فلانًا يَرثِيهِ رَثْيًا ومَرْثِيَةً إذا بَكَاهُ بعد موته، قال فإن مدحه بعد موته قيل رَثَّاهُ يُرَثِّيهِ تَرْثِيَةً، ورَثَيْتُ الميّتَ رَثْيًا ورِثَاءً ومَرْثَاةً ومَرْثِيَةً ورَثَّيْتُهُ: مدحته بعد الموت وبَكَيْتُهُ. ورَثَوْتُ الميّتَ أيضا إذا بَكَيْتَهُ وعَدَّدْتَ محاسنَهُ، وكذلك إذا نَظَّمْتَ فيه شعرًا. وَرَثَتِ المرأة بعلها تَرْثِيهِ ورَثِيَتْهُ تَرْثَاهُ رِثَايَةً فيهما"، وامرأة رَثَّاءةٌ ورَثَّائِيَةٌ كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره مِمَّن يُكْرَمُ عندها، تَنُوحُ نِيَاحَةً".[4]

نلاحظ من خلال ما جاء عن ابن فارس وعن ابن منظور أن لفظة رثى تدل على تعديد خصال الشخص بعد موته، وتدل على كذلك على نظم شعر في الميت يذكر محاسنه ويُخَلِّدَهُ على مد العصور.

---

[1]– شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، دت، ص: 54.

[2]– المرجع السابق: ص: 75، وينظر أيضا: شوقي ضيف، الرثاء، ص: 6.

[3]– **ابن فارس**: معجم مقاييس اللغة، ج2، كتاب الراء، ص: 488.

[4]– **ابن منظور**: لسان العرب، باب الراء، ص: 1582.

**الرثاء اصطلاحا:**

أما في الاصطلاح فيدل الرثاء على التأبين، سواء للأشخاص أو رثاء المدن كما شاع في نهاية العصر الأندلسي، وقد جاء عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) في معجمه العين قوله: "رثى: رَثَى فلانٌ فلانًا يرثيه رَثْيًا ومَرْثِيَةً، أي يبكيه ويمدحه، والاسم المرثية".[1]

فالرثاء إذن هو البكاء على الميت مع مدحه بخصاله وفضائله بعد موته مع ذكر صفاته الحسنة، وأخلاقه النبيلة، والدعاء له بالرحمة والمغفرة، وتعزية ومواساة أهله وذويه وحثهم على الصبر على مصيبتهم.

ويرى النويْري (ت 733هـ) أن الرثاء جعل تسلية لمن عَضَّتْهُ نوائب الدهر بأنيابها فقال: "والمراثي إنما جعلت لمن عَضَّتْهُ النوائب بأنيابها، وفرّقت الحوادث بين نفسه وأحبابها، وتأسيةً لمت سبق إلى هذا المصرع، ونَهَلَ من هذا المشروع، ووثوقًا باللحاق بالماضي".[2]

ثم فَصَّلَ أكثر في باب الرثاء فقال: "وباب الرثاء فهو باب فسيح الرّحاب والنوادي، فصيح اللسان في إجابة المنادي ذي القلب الصادي، متباين الأسلوب مختلف الأطراف، متباعد الشعوب فيه، منه ما يُصْمي القلوب بنباله، ومنه ما يُسلّيها بلطيف مقاله، ومنه ما يبعثها على الأسف، ومنه ما يصرفها عن موارد التلف، وقد أكثر الشعراء القول في هذا الباب، وارْتَقَوا الذروة العلياءَ من هذه الهضاب، ووجدوا مكان القول ذا سعة فقالوا، وأصابهم هجير اللوعة فمالوا إلى ظِلِّهِ وقالوا، قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة".[3]

فالرثاء إذن هو التعبير عمّا يعتصر النفس من ألم فرقة الأهل والأحباب والأصحاب وقد يضطرُّ إليه المفجوع لتسلية نفسه حتى لا يسيطر عليها الحزن، فينظم الشاعر أبياتًا أو قصيدةً كاملة يعبر من

---

[1]– **الخليل بن أحمد الفراهيدي**: معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، مصر، دت، ج8، ص: 434.

[2]– **النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)**: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحي الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج5، ص: 160.

[3]– المصدر نفسه: ص: 161.

خلال عمّا يجيش بداخله، ويعبر عن آلامه وأحزانه بأشرف الكلمات والمعاني التي تخلد الميت بين أهله وقومه.

غير أن أبي العباس المبرد (ت 286هـ) حصر الرثاء في التعزية حيث قال: "وتعزيتك الرجل تسليتك إيَّاه، والعزاء هو السلو، وحسن الصبر على المصائب، وخير من المصيبة العوض منها والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره تَنَجُّزًا لما وعد من حسن الثواب، وجعل للصابرين من الصلاة عليهم والرحمة".[1]

وبالتالي حصر المبرد تسلية من فقد شخصا في التعزية، والصبر على المصيبة واحتساب أجرها عند الله عزّ وجلّ.

وأضاف المبرد يقول: "كانت العرب في الجاهلية –وهم لا يرجون ثوابًا ولا يخشون عقابًا– يتحاضون على الصبر، ويعرفون فضله، ويُعَيِّرون بالجزع أهله، إيثارا للحزم، وتزيُّنًا بالحلم، وطليًا للمروءة، وفرارًا من الاستكانة إلى حسن العزاء، حتى إنّ الرجل منهم ليفقدُ حميمه فلا يُعرَفُ ذلك فيه، يُصدِّقُ ذلك ما جاء في أشعارهم، ونُثِيَ من أخبارهم".[2] وأورد بيتين لِدُرَيْد بن الصَّمَّة في مرثيته أخاه عبد الله يقول فيهما:

قَلِيـــلُ التَّشَكِي لِلْمُصِيبَاتِ حَـــافِظٌ مَـعَ اليَوْمِ أَدْبَارَ الأَحَـادِيثِ فِي غَـدِ

صَبَـا مَـا صَبَا حَتَّى إِذَا شَـابَ رَأْسُهُ وَأَحْـدَثَ حِلْـمًا قَالَ لِلْبَـاطِلِ: ابْعَدْ

قال: قال أبو عبيدة: كان يونس بن حبيب يقول: هذا أشعر ما قيل في هذا الباب.[3]

أما أبو البقاء الرندي فيقول في هذا الباب:

"اعلم أم مدار هذا الباب على ثلاثة: التوجع، والتأبين، والتعزية.

فأما التوجع: فيكون بتعظيم الرزء، وإجلال الخطب، وأعمال التأسف.

---

[1]– **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)**: التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص: 45.

[2]– **المبرد**: التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، ص: 42.

[3]– المصدر نفسه: ص: 43.

وأما التأبين: فبذكر مآثر المرئي ومكارمه ووصفه بما يجب له.

وأما التعزية: فبالحض على الصبر، والترغيب في الأجر، والتأسي بالسلف فيما ناب من فجائع الدنيا، وقوارع البلوى، ليتأسى بذلك ولي الهالك".[1]

وبذلك يكون أبو البقاء الرندي قد قسم الرثاء إلى ثلاثة أقسام وهي: التأبين، والتوجع والتعزية.

ومما سبق نستنتج أن الرثاء يتمثل في البكاء على الميت ونعيه، مع ذكر صفاته الحميدة وأخلاقه الحسنة، ومواقفه النبيلة، وخصاله الفضيلة، مع الدعاء له بالمغفرة والرحمة وتقديم العزاء لأهله، مع حثهم على الصبر واحتساب الأجر عند الله عز وجل.

[1]– **الرندي (أبو البقاء صالح بن الشريف)**: الوافي في نظم القوافي، تحقيق: إنقاذ عطا الله محسن، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد 1، 2009، ص: 92.

**المبحث الأول: رثاء المدن**

ظهر شعر رثاء المدن والممالك في الأندلس بعد سقوط دويلاتها الواحدة تلوى الأخرى فقد بدأ الشعراء الأندلسيون ينظمون القصائد في رثاء مدنهم وممالكهم وهم يرونها تتهاوى أمام أنظارهم، ويرى الدكتور الطاهر أحمد مكي أن هذا الغرض من الشعر فن أندلسي أصيل، فقال: "فبكاء الممالك المنهارة والمدن الداهبة، فن أندلسي أصيل فيما أرى، وُجدَتْ دوافع في المشرق والمغرب على السواء، وخُصَّ الأندلس ببعضها، وتفرد بأنه جرى مع هذه الدوافع إلى غايتها، فكان له معها قصيد رائع أحيانا، ودون الجيد أحيانا أخرى، تبعًا لثقافة الشاعر وطاقاته النفسية، وحظه من تجارب عصره عمقا واتساعًا وكان وراء ذلك كله ما أسميه: الوجدان الأندلسي".[1]

وممن بكوا على قرطبة بعد أن دمرت نجد الشاعر والناقد أبو عامر بن شهيد المتوفى عام (426هـ-1035م)، حيث عايش نهاية أيام العاصمة عن قرب، وشهد مأساتها كاملة لأنه لم يغادر قرطبة، فصوته لا يبلغ قرطبة من بعيد، وإنما يصدر من أعماقها، بين الأطلال وأكوام الخراب، وجاء صدًى لهذا الواقع المرير والأسيف، وهو يلتفت حوله فلا يرى أحدًا يستجير به، فالناس جلهم قتلى ضمتهم القبور، والقلة الباقية توزعتها الطرق مولية، وأين اليوم في بلقعه وخوائه ووحدته من شمل جامع بالأمس، وعيش أخضر، وروائح يفتر منها العنبر بروائحه الزكية، والأمن يفلفها، والقوم ينعمون بجمالها والقصور طيبة ومن فيها أجمل، فقد حلت بها، النوى والمصائب فدمرت المسكن والساكن، وتغيرت الدنيا ومن عليها، ولم يملك ابن شهيد غير أن يدعو لها بالغيث أن ينزل بساحتها ويحي رياضها، وأن تعود كما كانت آهلة بسكانها، وتعود فيها الزهراء والزاهرة ضواحيها جميلة كما كانت من قبل، فيقول في قصيدته:[2]

مَـا فِي الطُّلُولِ مِـنَ الأَحِبَّـةِ مُـخْبِرُ ... فَمَـنْ ذَا الَّذِي عَنْ حَـالِهَا نَسْتَخْبِـرُ
لَا تَسْـأَلَنَّ سِـوَى الفِـرَاقِ فَـإِنَّهُ ... يُنْبِيـكَ عَنْهُـمْ أُنْـجِدُوا أَمْ أُغْـوِرُوا
جَـارَ الـزَّمَانُ عَلَيْـهِمْ فَتَفَـرَّقُوا ... فِي كُـلِّ نَـاحِيَةٍ وَبَـادَ الأَكْـثَرُ

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987، ص: 205.
[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 215.

جَـــرَتِ الخُطُوبُ عَلَى محلِّ دِيارِهِمْ وَعَـــلَيْـــهِمْ فَتَغَيَّـــرَتْ وتَغَيّـــرُوا
فلِمثْـــلِ قُرْطُبَـــةٍ يَقِلُّ بُكَـــاءُ مَـــنْ يَبْكِـــي بعَيْـــنٍ دَمْعُـــــهَا متَفَـجِّرُ
عَهْـــدِي بِـــهَا وَالشَّمْلُ فِيهَا جَـــامِعٌ مِـــن أَهْلِـــها والعَيْـشُ فِيهَا أَخْـضَرُ
وَالدَّارُ قَـــدْ ضَرَبَ الكَمَـــالُ رِواقَـــهُ فِيـــــهَا وَبَاعَ النُّقْصَ فِيـــهَا يَقْصُرُ
وَرِيَـــــاحُ زَهْـــرَتِها تَلُـــوحُ عَلَيْـهِمُ برَوائِـــحٍ يَفـــتَرُّ مِنْـــهَا العَنْبـــرُ
وَالقَـــوْمُ قَد أَمِنُـــوا تَغَيُّرَ حُسْنِـــهَا فَتَعَمَّـــمُوا بجَـــمَالِهَا وَتَـــأَزَّرُوا
يَـــا طِيبَهُمْ بقُصُـــورِهَا وخُـــدُورِهَا وَبُـــدُورهَا بقُصُـــورِهَا تَتَخَـدَّرُ[1]

بدأ الشاعر قصيدته بتساؤل عَمَّن يسأله من الأحبّة عن حال قرطبة، وفي هذا التساؤل دلالة على شوقه الكبير لقرطبة، وعن حرقة فراقه الأحبة والأهل والديار، ثن يتساءل عن أحبته هل أُنجِدُوا أم أُغْوِرُوا، أي غزتهم جيوش العدو، حيث جارت عليهم أحداث الزمان فتفرقوا في كل ناحية، ومات أكثرهم، وتغيرت عليهم الأمور وعلى ديارهم فغيرتها كما غيرت أحوالهم هم.

ثم عرّج على وصف قرطبة وكيف كانت جامعة لأهلها، وكيف كان العيش فيها أخضر ناعم لا يُعكِّرُ صفوته أي شيء، حيث كانت روائح العنبر تفوح من كل مكان، حتى أمنوا فيها وظنّوا أن حسنها لن يتغير، فجعلوا من جمالها عمائم وإزارات يَلْتَحِفُونَهَا، وهو تشبيه بليغ.

ثم بدأ فر رثاء قرطبة التي عصفت بها رياح الدمار والخراب، فدمرتها ودمَّرَتْ أهلها، فقال:

وَرِيَـــــاحُ زَهْـــرَتِها تَلُـــوحُ عَلَيْـهِمُ برَوائِـــحٍ يَفـــتَرُّ مِنْـــهَا العَنْبـــرُ
يَـــا جَنَّةً عَصفَـــتْ بِهَا وبأَهْلِـــــهَا رِيحُ النَّـــوَى فَتَـــدَمَّرتْ وتَـــدَمَّرُوا
آسَـــى علَيْـــكِ مِن المِمَـــاتِ وَحقَّ لِي إِذْ لَمْ نَزَلْ بِكِ فِي حَيـــاتِكِ نَفـــخَرُ
يَـــــا مَنْـــزِلاً نَزَلَت بِـــهِ وبـــأَهْلِهِ طَيْـــرُ النَّـــوَى، فَتَغَيَّـــرُوا وتَنَكَّـــرُوا
جَـــادَ الفُـــرَاتُ بِسَـــاحَتَيْكِ ودِجْلَـــةٌ وَالنِّيـــلُ جَـــادَ بِهَـــا وَجَـــادَ الكَـوْثَرُ
وَسُقِيَـــتَ مِـــنْ مَـــاءِ الحَيَاةِ غَمَـــامَةً تَحْيَـا بِهَـــا مِنْكَ الرِّيـــاضُ وتُـــزْهِرُ
أَسَـــفِي عَلَى دَارٍ عَهِـــدْتُ رُبُوعَـــهَا وَظُبَـــاؤُهَا بِفَنَائِـــــهَا تَتَبَخْتَـــرُ

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 216.

أَيَّـــامَ كـــانَتْ كَـــفُّ كُلِّ سلامةٍ تَسْمُـــو إِلَيْـــهَا بِالسَـــلَامِ وَتَبْـــدُرُ
حُـــزْنِي عَلَـــى سَـــرَواتِهَا ورُواتِهَـــا وَثُقَـــاتِهَا وَحُمَـــاتِهَـــا يَتَكَـــرَّرُ
نَفْسِي عَلَـــى آلَائِـــهَا وَصَفَـــائِهَا وَبَهَـــائِهَا وَسَنَـــائِهَا تَتَحَـــسَّرُ
كَبِـــدِي عَلَى عُلَمَائِـــهَا حُلَمَـــائِهَا أُدَبَـــائِهَا، ظُرَفَـــائِهَا، تَتَفَـــطَّرُ[1]

يبين الشاعر في هذه الأبيات كيف عصفت ريح النوى بقرطبة وقد كانت جَنَّةً فوق الأرض، كما عصفت بأهلها، فدمرتها ودمرت أهلها، ولم تبق منهم شيء، ومع ذلك فمازال يفخر بها، ثم يقف حزينا باكيا على منزله الذي نزلت به طير النوى فتغيروا وتنكروا، ثم بعد ذلك استحضر صورة أنها النيل ودجلة والفرا، وهذا بسبب ما تنعم بقرطبة، وبما حياها الله من أنها وجداول ومياه عذبة، فاستحضر صورة بغداد التي يعبرها نهر دجلة والفرات وما تتمتع به من جمال خلّاب جعل الشعراء يتغنَّونَ بها هي الأخرى، وكأن قرطبة يمر عبرها نهر الكوثر، ثم تأسّف على ديار قرطبة، التي عهد ربوعها ولم يستطع فراقها، كما وصف ظباؤها، وهي جمع منعرج الوادي بأنها تسيل بتبختر، كما أبدى حزنه وأسفه الشديد على رواتها وأهل الثقة فيها على ما حَلَّ بهم وبحالهم، وبأنَّ حزنه هذا يتكرَّر دائما لا ينتهي، كما وصف بأنَّ كبده تتفطر (أي يَتَشَقَّقُ) من شدة حزنه على علمائها وحلمائها وأدباءها وظرفائها، ومعلوم أن الظلم والجور إذ سُلِّطَ على العلماء والأدباء وأصحاب الجاه يكون أثره في النفوس أكبر، لأنَّ القضاء على العلماء والأدباء سينتج عنه الجهل والضلال.

كَـــانُوا رَوَاسِي أَهَلَ الأَرْضِ اللهِ مُنْذُ نَأَوْا عَنْـــهَا اسْتَطَـــارَتْ بِمَـــنْ فِيهِ وَلَمْ تَقِرْ
كَانُوا مَصَابِيحَهَا فِيهَا فَمُذْ خَبَوْا عَثَرَتْ هَـــوَى الخَلِيـــقُةُ يَا للهِ فِـــي سَـــدَرِ

وفي قصيدة لابن اللبانة يبكي ويرثي فيها نبي المعتمد بن عباد بعد أن أنظل بهم يوسف تاشفين ما شاء من نقمة وعذاب، وحملهم إلى المغرب في غير احترام لوعود ولا رعي لعهود، حيث يقول فيها:[2]

تَبْـــكِي السَّمَـــاءُ بِدَمْعٍ رَائِحٍ غَـــادِي عَلَى البَهَـــالِيلِ مِـــنْ أَبْنَـــاءِ عَبَّـــادِ
عَلَى الْجِبَـــالِ الَّتِي هُـــدَّتْ قَوَاعِـــدُهَا وَكَـــانَتِ الْأَرْضُ مِنْـــهُمْ ذَاتَ أَوْتَـــادِ

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 216.
[2]– **عبد العزيز محمد عيسى**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 137.

وَالرَّابِيَـاتُ عَلَيْهَا اليَـانِعَـاتُ دَوَتْ أَنْـوَارُهَا فَغَـدَتْ فِي خَفْضِ أَوْهَـادِ
عَـرِّيسَةٌ دَخَلَتْـهَا النَّـائِبَاتُ عَلَى أَسَـاوِدٍ لَهُـمُو فِيـهَا وَآسَادِ
وَكَعْبَـةٌ كَـانَتِ الآمَـالُ تَعْمُـرُهَا فَـاليَوْمَ لَا عَـاكِفَ فِيـهَا وَلَا بَادِ
تِلْـكَ الرِّمَـاحُ رِمَـاحُ الخَطِّ ثَقَّفَهَا حَطْـبُ الزَّمَـانِ ثِقَـافاً غَيْرَ مُعْتَادِ
وَالبِيضُ بِيضُ الظُّبَى فَلَّـتْ مَضَـارِبُهَا أَيْـدِي الرَّدَى وَثَنَتْـهَا دُونَ إِغْـمَادِ
لَمَّـا دَنَا الـوَقْتُ لَمْ تُخْلِفْ لَـهُ عِدَةٌ وَكُـلُّ شَيْءٍ لِمِيقَـاتٍ وَمِيعَـادِ
كَمْ مِنْ دَرَارِيِّ سَعْدٍ قَدْ هَوَتْ وَوَهَتْ هُنَـاكَ مِـنْ دُرِرٍ لِلْمَجْـدِ أَفْـرَادِ
نُـورٌ وَنُـورٌ، فَهَـذَا بَعْدَ نِعْمَـتِهِ ذَوَى وَذَاكَ خَبَا مِـنْ بَعْـدِ إِيقَـادِ
يَا ضَيْفُ أَقْفِرْ بَيْتَ المُكْرَمَاتِ فَخُذْ فِي ضَـمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَـعْ فَضْـلَةَ الـزَّادِ[1]

هنا الشاعر صور لنا السماء وهي تبكي على البهاليل من بني عباد، والبهاليل: جمع بهلول وهو السيد الشريف في قومه، تبكي عليهم لأنهم بعد عزهم وشرفهم أصبحوا أسارى عند أعدائهم، ووصف الرابيات التي كانت تشع بالأنوار وكيف أصبحت في خفض الواد، وأصبحت مساجدها خاوية من عمارها فلم يعد فيها عاكف ولا باد، حتى الضيف الذي كان يجد من يكرمه أصبح لزاما عليه أن يضم رحله ويجمع فضلة الزاد لأن البيوت أقفرت من أصحابها.

ويقول أيضا:

وَيَـا مُـؤَمِّلَ وَادِيـهِمْ لِيَسْكُـنَهُ خَفَّ القَطِيـنُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالـوَادِي
ضَلَّتْ سَبِيلُ النَّدَى بِابْنِ السَّبِيلِ فَسِرْ لِغَيْـرِ قَصْـدٍ، فَمَا يَهْدِيكَ مِنْ هَادِي
وَأَنْتَ يَا فَـارِسَ الخَيْلِ الَّتِي جَعَلَـتْ تَـحْتَـالُ فِي عُدَدٍ مِـنْهُمْ وَأَعْـدَادِ
أَلْقِ السِّـلَاحَ وَخَلِّ المَشْرِفِي فَقَـدْ أَصْبَحَتْ فِي لَـهَوَاتِ الضَّيْغَمِ العَادِي
مَنْ يُؤْتِ مِنْ مَأْمَـنٍ لَـمْ يُـجْدِهِ حَذَرٌ وَقَـاتِلُ نَفْسِـهِ مَـا إِنْ لَـهُ رَادِ
وَمَـنْ يَسُدُّ عَلَيْـهِ الضُّـرُّ نَاظِـرُهُ فَلَيْـسَ يَنْفَعُهُ أَنَّ الضُّـحَى بَـادِ
وَلَيْـسَ يُغْنِي مُـوشًّى مَـنْ تُحِرِزُهُ وَحَتْـفُهُ وَاقِـفٌ مِنُـهُ بِـمِرْصَادِ
لَا عِطْـرَ بَعْدَ عَرُوسٍ فِي حَـدِيثِهِمْ قَـدْ أَقْـفَرَ الحَيُّ مِنْ هِنْدٍ وَمِنْ عَادِ

[1]– **ابن اللبانة الداني**: الديوان، تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2008، ص: 56-57.

خَـــانَتْ أَكُفُّهُمْ الأَعْـضَادَ فَانْقَطَعُوا وَكَيْـــفَ تَقْوَى أَكُـــفٌّ دُونَ أَعْضَادِ
غَابَتْ عَـــنْ الفَلَكِ الأَرْضِي أَنْجُمُهُمْ فَـــلَيْسَ لِلسَّعْـــدِ فِيهِمْ نُـــورُ إِسْـعَادِ
وَبُـــدِّلُوا غَيْـــرَنَا قَوْمًا فَنَحْنُ نَـــرَى تَـــرْكِيبَ أَرْوَاحِـــنَا فِي غَيْرِ أَجْـــسَادِ
هِي الـــمَقَادِيرُ لُا تُبْقِي عَـــلَى أَحَـــدٍ وَكُـــــلُّ ذِي نَفْسٍ فِيـــــهَا لَآمَـــادِ[1]

ينبه الشاعر في هذه الأبيات الذي يأمل في أن يسكن وادي بني عباد أن القطين قد خفّ وأن الزرع جفّ فلم يبق فيه ماء ولا زرع، فقد عبثت به بأيادي الأعداء فدمّرته، ثم يخاطب فارس السلاح بأن يلقي سلاحه فقد أصبحت المملكة في أيدي الأعداء فلا ينفع معها قتال ولا جهاد، فقد قطعت أعضاؤهم ولم تعد أكفهم تقوى على مقارعة الأعداء في إشارة إلى أنهم مكبلين ومقيدين بالأغلال، فقد أصبحوا أسرى في يد جيش يوسف بن تاشفين، وقد غابت مملكتهم عن الفلك الأرضي ولم تعد موجودة، وأفلت أنوراهم، وجيء بأقوام آخرين مكانهم، حتى رأى أن أرواحهم أصبحت في غير أجسادهم، ثم بعد ذلك استسلم الشاعر لأمر الله، فهو يرى أن مقادير الله عز وجل لا تترك أحد على حاله، وأنّ كلَّ نفس لها أمد معين، وحنين يأتي القدر فلا أحد يستطيع رده.

وممّا جاء في القصيدة أيضا قوله:

وَأُسْـــوَةٌ لَهُمْ فِي غَيْـــرِهِمْ حَسُنَـــتْ فَـــمَا شَـمَاتَهُ أَعْـــدَاءٍ وَحُـــسَّادِ
إِنْ يَخْلَعُـوا، فَبَنُو العَبَّـاسِ قَدْ خُلِعُوا وَقَدْ خَلَتْ قَبْلَ حِمْصٍ أَرْضُ بَغْـدَادَ
تَقُـــولُ فِيهِمْ، وَهُمْ أَعْـــلَى بَرَامِـكَةٍ فَـــالحَالُ ذَا الحَالِ، إِفْسَادٌ كَـــإِفْسَادِ
كَـــانَتْ أَسِـــرَّتُها مِنْ فَضْلِـــهَا بِهِمْ مِثْلَ المَنَـــابِرِ، أَعْـــوَادًا بِأَعْـــوادِ
إِنَّـــا إِلَى اللهِ فِي أَيَّـــامِهِمْ، فَلَـــقَدْ كَـــانَتْ لَنَا مِثْلَ أَعْرَاسٍ بِـــأَعْيَـــادِ
هُـــمُّ الشَّـــوَاهِقُ فِيهَا كَهْفُ مُعْتَصِمِ مِثْلَ الأَبَـــاطِحِ فِيهَا خِصْبُ مُرْتَـــادِ
تَـــبًّا لِدُنْـــيَا أَذَاقَتْـــهُمْ حَوَادِثُـــهَا بَـــرْحَ العَـــذَابِ وَمَا دَانُوا بِالـحَادِ
أَضْحَتْ مُكَـسَّرَةً أَرْعَـاطُ أَسْهُمِـهِمْ وَأَسْـــهُمُ الـــدَّهْرِ فِيهِمْ ذَاتُ أَقْصَـادِ
ذُلُّوا وَكَانَتْ لَـــهُمْ فِي العِـــزِّ مَرْتَبَـةٌ تَـحُطُّ مَـــرْتَبَتَيْ عَـــــادٍ وَشَـــدَّادِ

[1]– **ابن اللبانة**: الديوان، ص: 57-58.

كَـانُوا المُلُوكَ مُلُوكَ الأَرْضِ فَانْصَرَفُوا وَمَالَـــهُمْ حَـــوْمَةً فِيـــهَا وَلَا نَـادِ
حَـمَوْا حَرِيـــــمَهُمْ حَـتَّى إِذَا غُلِـبُوا سِيقُـــوا عَلَى نَسَقٍ فِي حَبْـلِ مُقْتَـادِ
تَبَـــدَّلُوا السِّـجْنَ بَعْدَ القَـصْرِ مَنْزِلَـةً وَأُحْـــدَقُوا بِلُـصُوصٍ عَوْضَ أَجْنَـادِ
وَأُنْزِلُـوا عَـنْ مُتُونِ الشُّهُبِ وَاحْتَمَـلُوا فَـــرِيقَ دُهْـــمٍ لِتِلْكَ الخَيْـــلِ أَنْـدَادِ
وَعِيـثَ فِي كُـلِّ طَـوْقٍ مِنْ دُرُوعِـهِمْ فَصِيـغَ مِنْـــهُنَّ أَغْـــلَالٌ لِأَجْـيَادِ[1]

شَبَّهَ الكاتب الحملة التي تعرضت لها مملكة بنو عباد بالحملة التي تعرضت لها العاصمة بغداد من قبل على يد المغول، فالإفساد الذي ذال بنو عباد يشبه الإفساد الذي طال بغداد وحمص من قبل، فقد منابرها وأسرتها تشبه منابر وأسرة بغداد مصنوعة من العود، لكنَّ الغزاة أفسدوها، كما أنَّ سهامهم وسيوفهم ورماحهم أضحت مُكَسَّرَةً وأبدلوا بعد عزهم الذي شبهه بعز قوم عاد وقوم شداد، فأبدلوا بعد هذا العز ذلًّا لم يعهدوه من قبل لأنهم كانوا ملوك الأرض، أما الآن فقد أبدلوا السجن بالقصور، وسيقوا مقيدين بالحبال، وصنع أعداؤهم من دروعهم أغلالا لأجيادهم، وهو دليل على الذل الذي لحقهم.

ويمضي يقول في قصيدته:

نَسِيْـــتُ إِلَّا غَـــدَاةَ النَّهْرِ كَوْنَـهُمُ فِي المُنْشَـــآتِ كَأَمْـــوَاتٍ بِالحَـادِ
وَالنَّـاسُ قَدْ مَـلَأُوا العَبْرَيْنِ وَاعْتَبَـرُوا مِـــنْ لُؤْلُؤٍ طَـــافِيَاتٍ فَـوْقَ أَزْبَـادِ
حُطَّ القِنَـــاعُ فَلَـــمْ تُسْتَـــرُ مُخَـدِّرَةً وَمُـــزِّقَتْ أَوْجُـهٌ تَمْـــزِيقَ أَبْـــرَادِ
حَـــانَ الوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَـارِخَةٍ وَصَـــارِخٍ مِنْ مُفَـــدَّاةٍ وَمِـــنْ فَـادِ
سَـارَتْ سَفَـــائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَصْحَبُهَا كَـــأَنَّهَا إِبِلٌ يَـحْدُو بِـهَا الحَـــادِي
كَمْ سَالَ فِي المَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الفَظَـائِعُ مِنْ قِطْعَـاتِ أَكْبَـادِ[2]

يشرح الدكتور شوقي ضيف هذه الأبيات في كتابه تاريخ الأدب العربي فيقول: "يقول الشاعر إنني مهما نسيت فلن أنسى رحيل المعتمد وآله في السفن، وكأنها مقابر نزلوها والناس قد ملأوا الشاطئين متعجبين لتلك اللآلئ من النساء تطفوا على الماء فوق زبده، ولا ترسب في القاع، ويقول إنهن سرن من

[1]– **ابن اللبانة**: الديوان، ص: 59-60.
[2]– **ابن اللبانة**: الديوان، ص: 61.

قصورهن سافرات لحزنهن يلطمهن ويخمشن وجوههن بأظافرهن لفجيعتهن، وضجَّ الرجال والنساء على الشاطئين، وضجَّ من في السفن وضجَّ المفدُّون الملوحون لهم بأيديهم، وسارت السفن يصحبها الندب والنواح كما يصحب الحداء الإبل السائرة في الصحراء، وكم سال في ماء الوادي الكبير من دمع، وكم حملت تلك السفن من فلذات أكباد".[1]

ويقول في آخر القصيدة:

وَأَيْـنَ مُعْتَمَـدٌ، نَعْـمَى يُقَسِّمُـهَا ... مَـرْعًـى وَمَـاءً لِـزُوَّارٍ وَرُوَّادِ
وَأَيْـنَ يُوَضِّحُ لِي هَدْيَ الرَّشِيدِ ضُحَىً ... أَجْـلُو بِـهِ فِي ظِـلَامِ الغَيِّ إِرْشَادِي
وَأَيْـنَ لِي كَنَـفُ المُعْتَـمَدِ مَنْزِلَـةً ... عَلَى احْتِفَـالٍ مِنَ النَّعْـمَى وَإِعْـدَادِ
مَكَـارِمَ وَمَعَـالٍ كُنْـتَ بَيْنَهُـمَا ... كَـأَنِّي بَيْـنَ رَوْضَـاتٍ وَأَطْـوَادِ
لَقَّـاكُمُ اللهُ خَيْـراً أَنَّكُـمْ نَفَـرٌ ... لَمْ تَعْرِفُوا غَيْرَ فِعْلِ الخَـيْرِ مِـنْ عَـادِ
إِنْ كَـانَ بَعْدَكُـمْ فِي العَيْشِ مِنْ أَرَبٍ ... فَـإِنَّ فِي غُصَصٍ عَيْشِـي وَأَنْكَـادِ[2]

فها هو الشاعر ينعي ابن عباد بأنه كان تقسم النعم من مراع ومياه وغيرها على زوار ورواد مملكته، وبأنّه طان مرشده في الغيّ، وهو دليل على الصداقة والمودة التي كانت تجمع بينهما، ثم بين المكارم والمعالي التي كان بينهما وكذلك الروضات والأطواد التي كان يتمتع بالعيش فيها، وأخيرًا تمنى له بأن يلقي الخير لأنه من نفر لم يَعرفوا سوى فعل الخير، مخاطبا إياه بأنه في عيش نغص ومنكد بعده.

ونظم أبو محمد بن عبدون (529هـ) قصيدة يرثي فيها بني "المظفر أصحاب بَطَلْيُوس من ملوك الطوائف بعد أن أعار اليها أعداؤهم وسلبوها منهم، استعرض فيها حوادث الدهر بمن سبقهم، ونكبته بالمتقدمين من ذوي التيجان والرياسة، ثم ينتهي إلى مقصودة من رثاء بني المظفر والتوجع لما أصابهم".[3]

وقال الشنتريني (ت542هـ) عن هذه القصيدة: "اقتفي فيها أبو محمد أثر فحول القدماء من ضربهم الأمثال في التأبين والرثاء بالملوك الأعزة وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال والأسود الخادرة في

[1]– **شوقي ضيف**: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ج8، ص: 343.

[2]– المصدر السابق: ص: 62.

[3]– **عبد العزيز محمد عيسى**: الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، مصر، دط، دت، ص: 137.

الغياض وبالنسور والعقبان والحيّات في طول الأعمار".[1] وهي قصيدة طويلة بدأها الشاعر بمدح المظفر، حيث يقول فيها:

الـدَّهْرُ يُفجِعُ بَعـدَ العَينِ بِـالأَثَرِ فَمَا البُكَـاءُ عَلَى الأَشبـاحِ وَالصُّوَرِ
أَنْهَـاكَ أَنهَـاكَ -لَا آلومكَ مَوعِظَةً- عَـنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَـابِ اللَّيثِ وَالظُّفرِ
مَـا لِلَّيَـالِي أَقَـالَ اللهُ عَثْرَتَنَا مِنَ اللَّيَـالِي وَخَـانَتْهَا يَـدُ الغَيْرِ
فِي كُـلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنَّـا جِـرَاحٌ وَإِنْ زَاغَـتْ عَنِ النَّظَرِ
تَسُـرُّ بِالشَّيءِ لَكِـنْ كَيْ تُغَـرَّ بِهِ كَالأَيْمِ ثَـارَ إِلَى الجَـانِي مِـنَ الزَّهْرِ[2]

يشرح الدكتور شوقي ضيف هذه الأبيات فيقول: "وهو يتحدث عن الدهر أنه دائما يرسل فواجعه على المحسوس، فغيم الحزن على من يموتون، وهم ليسوا إلا أشباحًا وصورًا، ويقول إنني لا أُقصِّر في وعظك ونهيك عن الاستنامة إلى الدهر، وهو قد أنشب فيك نابه وظفره، ويدعو الله أن يقيلنا وينقذنا من عثرات الليالي وأن يسلط عليها الأحداث حتى تنهكها ولا تبقى فيها بقية، إذ في كل حين تصيبنا في عضو منا عزيز علينا بجراح، منها ما نراه، ومنها ما يزيغ عن البصر، وإنها إن سُرَّت بشيء – وهيهات– فلكي تخدعنا به، بل لكي تلسعنا من خلاله اللسعة القاضية، كالأفعى المختبئة في الزهر تلسع يد قاطفه اللسعة السامة المميتة".[3]

ويقول في هذه القصيدة أيضا:

الـدَّهْرُ يُفجِعُ بَعـدَ العَينِ بِـالأَثَرِ فَمَا البُكَـاءُ عَلَى الأَشبـاحِ وَالصُّوَرِ
كَـمْ دَولَةٍ وَلِيَتْ بِالنَّصْرِ خِـدْمَتَهَا لَمْ تُبْقِ مِنْهَا -وَسَل دُنْيَاكَ- مِـنْ خَبَرِ
هَـوَتْ بِـدَارًا وَفَلَّـت غَرْبَ قَاتِلِهِ وَكَـانَ عَضْبًا عَلَى الأَمـلَاكِ ذَا أَثَرِ
وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ وَلَمْ تَـدَع لِبَنِي يُـونَانَ مِـنْ أَثَرِ
وَأَتْبَعَـتْ أُخْتَهَا طَمسًا وَعَـادَ عَلَى عَـادٍ وَجُـرْهُمْ مِنْـهَا نَاقِـضُ المِرَرِ

---

[1]– **الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام)**: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، 1997، مج1، ص:818.

[2]– **شوقي ضيف**: تاريخ آداب العرب، ج8، ص: 345.

[3]– المصدر نفسه، ص: 346.

وَمَــزَّقَتْ سَبَــأً فِي كُــلِّ قَــاصِيَةٍ فَــما اِلتَقَى رائِــحٌ مِــنْهُمُ بِــمُبْتَكَرِ[1]

تعود به الذكريات في هذه الأبيات إلى الأمم السابقة التي ملكت الأرض وكيف حَلَّت بها خطوب الدهر فعادت وهوت، حيث يقول: "دول كثيرة أتاحت الليالي لها الظفر والرفعة، ثم عادت فهوت بها من حالق، هوت بدارا ملك الفرس، فقتله الإسكندر المقدوني، ولم تلبث أن هدَّتْ منه، وكان سيفا قاطعًا ساطعًا فثلَّمَتْهُ وحَطَّمَتْهُ، وقد استرجعت من بني ساسان ملوك الفرس كل ما وهبتهم من عز ومجد، ولم تدع لليونانيين شعب الإسكندر من أثر كأن لم يكونوا شيئًا مذكورا، وبالمثل صنعت بقبيلتي طسم وأختها جديس في اليمامة، وكرَّ الدهر على عاد وجرهم نكباته حتى محاهما محوًا".[2]

وبعد ذكره للدول الغابرة وما حل بها من أحداث وخطوب أَدَّتْ إلى زوالها وقيام دول أخرى على أنقاضها يصل إلى رثاء دولة بني المظفر فيقول:

بَنِــي المُــظَفَّرِ وَالأَيّــامُ مَـا بَرَحَتْ مَرَاحِــلًا وَالــوَرَى مِنْــهَا عَلَى سَفَرِ
سُحْقًا لِيَــومِكُم يَــومًا وَلَا حَمِلَتْ بِـمِثْــلِهِ لَيْــلَةٌ فِي غَــابِرِ العُمُرِ
مَــــنْ لِــلأَسْرَّةِ أَوْ مَنْ لِلأَعِنَّةِ أَوْ مَنْ لِــلأَسِنَّةِ يُهْــدِيهَا إِلَى الــثُّغْرِ
وَيْــحَ السَّمَاحِ وَوَيحَ البَأْسِ لَـوْ سَلَمَا وَحَــسْرَةُ الــدِّينِ وَالــدُّنْيَا عَلَى عُمَرِ

يقول في هذه الأبيات: "سحقًا وبعدًا لليوم الذي زالت فيه دولتكم ولا حملت بمثله ليلة تعسة من الليالي، ويبكيهم لعرش بَطَلْيُوس وخيلها العادية وسيوفها الباترة، ويتوجَّعُ للسماح وللشجاعة، ويتحَسَّر على ما خسر الدين من جهاد المتوكل للأعداء وخسرت الدنيا من مجده وأبهة إمارته".[3]

هذه بعض النماذج من شعر رثاء المدن والمماليك في العصر الأندلسي، وهي مجرد غيض من فيض، لأن هذا النوع من الأغراض الشعرية قد ازدهر وشاع في العصر الأندلسي بعد الحملة الصليبية التي تعرضت لها المماليك في الأندلس، وقد نظم فيها الشعراء القصائد الطوال، فكان هذا النوع من

[1]– المصدر نفسه، ص: 346.
[2]– المصدر نفسه، ص: 346.
[3]– المصدر نفسه، ص: 346.

الشعر من الأغراض التي برع فيها الشعراء الأندلسيون، حيث يقول الكثير من الباحثين بأن شعراء الأندلس لم يسبقهم أحد في شعر رثاء المدن، ولم تأت أحد بعدهم بمثله.

**المبحث الثاني: رثاء الأشخاص**

يعد رثاء الأشخاص من أقدم أنواع الرثاء التي عرفها الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، إذ كانت النساء يندبن آبائهم وإخوانهن وأزواجهن، وكان في الكثير من الأحيان يلجأ العرب إلى نائحة يدفعون لها أجرًا من أجل تمجيد الميت ورثائه، يقول الدكتور شوقي ضيف: "لعلَّ أقدم صور النواح والندب في شعرنا العربي هي صورة نَدْبِ الأهل والأقارب والنواح عليهم، وللمرأة الجاهلية في هذا المجال القسط الأكبر والنصيب الأوفر، إذ كانت تندب أباها وإخوتها، فما تزال تنوح على من يتوفى منهم حَتْفَ[1] أنفه، ومن يموت قَعْصًا[2]، بالرماح والسيوف، وما أكثر من كان يموت منهم في حروبهم الدائرة على المراعي".[3]

وسبب كثرة الحروب الطاحنة بين القبائل العربية كان كل يوم يخلّف وراءه قتلى من هذه القبيلة أو تلك، "وكل صريع تندبه النوادب من أهله وقبيلته، فكُنَّ يلطمن ويخمشن وجوههن ويحلقن رؤوسهن ويشققن جيوبهن ويقرعن صدورهن على من طوَّحَ به الأعداء أو طوَّحَتْ به الأقدار إلى مهاوي القبور".[4]

وذكر لويس شيخو في كتابه "رياض الأدب في مراثي شواعر العرب" أنَّ النِّسَاءَ الجاهليات جرين مجرى فحول الشعراء في الرثاء، حيث قال: "وقد جرى نساؤهم في ميدانهم ولا تراهنّ في الرثاء أنزل طبقة من أئمتهم، لا بل تجدهن يستنبطن في هذا الباب أساليب بديعة لم يتَنَبَّه لها الفحول لما طبعن عليه من رِقَّةِ الطباع وشدة الجزع في المصائب وصد الحسِّ فَيُبْرِزْنَ عواطفهن بشعر سلس وكلام لَيِّنٍ قريب المأخذ يكاد يسيل رقَّةً وانسجامًا".[5]

فقد عرب العرب الرثاء منذ العصر الجاهلي على غرار باقي الأمم الأخرى، باعتبار أن الرثاء يُعبِّر عَمَّا يختلع في النفس من حزن وألم على فقدان أحد الأقارب أو الأصحاب، أو الأحباب.

---

[1]– الموت حتف الأنف: الموت على الفراش.

[2]– القعص: القتل بالسيف.

[3]– **شوقي ضيف**: الرثاء، ص: 13-14.

[4]– المصدر نفسه: ص: 14.

[5]– **لويس شيخو اليسوعي**: رياض الأدب في مراثي شواعر العرب، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، دط، 1897، ص: 1.

وأشهر النائحات على فقدان الأهل الخنساء فهي "أشهر من بكت واشتبكت في الجاهلية إذ قُتِلَ أخوها معاوية في بعض غاراته، فعقدت عليه مأتمًا ضخمًا من النواح، وأثار ذلك أخاها صخرًا، فثأر له، ولكنه جرح جرحًا بليغًا أدى إلى وفاته، فعادت إلى نواحها بأشد مما صنعت على أخيها معاوية، وكأنما سعر صخرٌ قلبها، وأشعل صدرها بشعلة من الحزن لا تخبو ولا تهدأ".[1] وفيه تقول:

أَلَا يَـا عَيْـنِ فَـانْهَمِـرِي بِغَدْرِ وَفِيـضِي فَيضَـةً مِـنْ غَيْـرِ نُـزْرِ
وَلَا تَعِـدِي عَـزَاءً بَعْـدَ صَخْـرِ فَقَـدْ غَلَـبَ العَـزَاءُ وَعِيلَ صَبْرِي
لِمَـرْزَئَهِ كَـأَنَّ الجَـوْفَ مِنـهَا بُعَيْـدَ النَّـوْمِ يُشْـعَرُ حَـرَّ جَمْـرِ
عَلَـى صَـخْرٍ وَأَيُّ فَـتَى كَصَـخْرِ لِعَـانٍ عَـائِلٍ غَلَـقٍ بِـوَتْرِ
وَلِلْـخَصْمِ الأَلَـدِّ إِذَا تَعَـدَّى لِيَـأْخُذَ حَـقَّ مَقْـهُورٍ بِقَـسْرِ
وَلِـلأَضْيَافِ إِذْ طَـرَقُوا هُـدُوءً وَلِلمَكَـلِ المُكِـلِّ وَكُـلِّ سَـفْرِ[2]

وتقول في قصيدة أخرى لها في رثاء أخيها صخر:

يُـؤَرِّقُنِي الـتَّذَكُّرُ حِيـنَ أُمْـسِي فَـأُصْبِـحُ قَدْ بُلِيْتُ بِفَـرْطِ نُكْسِ
عَلَـى صَـخْرٍ وَأَيُّ فَتًى كَـصَخْرِ لِيَـوْمٍ كَـرِيهَـةٍ وَطِعَـانِ حِلْسِ[3]

إلى أن تقول:

يُذَكِّـرُنِي طُلُـوعُ الشَّمْسِ صَخْـراً وَأَذْكُـرُهُ لِكُـلِّ غُـرُوبِ شَمْسِ
وَلَـوْلَا كَثْـرَةُ البَـاكِينَ حَـوْلِي عَلَـى إِخْـوَانِهِمْ لَقَتَلْـتُ نَفْـسِي
وَلَـكِـنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجـُولاً وَبَـاكِيَةً تَنُـوحُ لِيَـوْمِ نَحْـسِ
أَرَاهَا وَالِـهًا تَبْـكِي أَخَـاهَا عَشِيَـةَ رُزْئِـهِ أَوْ غِـبَّ أَمْـسِ[4]

هذه الأبيات للخنساء تدل على أن البكاء على الآباء والإخوة والأحبة كانت عادة متفشية في العصر الجاهلي، ويدل على ذلك قولها: "ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي، فهذا

[1]– **شوقي ضيف**: الرثاء، ص: 14.
[2]– **الخنساء**: الديوان، تحقيق: حمد وطماس، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص: 43.
[3]– المرجع نفسه: ص: 71.
[4]– المرجع نفسه: ص: 27.

دليل على النساء في العصر الجاهلي كُنَّ يبكين ويرثين الأموات، وكُنَّ يخلدنهم بقصائد بديعة تعبر عن صدق عواطفهن، وقد جمع لويس شيخو في كتابه "رياض الأدب في مراثي شواعر العرب" قصائد لشاعرات عربيات في هذا المجال.

وقد شاع هذا النوع من الفنون الشعرية على غرار المدح والغزل والوصف وغيرها من الفنون الأخرى عند الشعراء الأندلسيين حتى برعوا فيه وفاقوا فيه أقرانهم من الشعراء العرب، ومن ذلك نجد قصيدة لميمون الخطابي يرثي بها عبد الله بن أبي بكر بن الجَدِّ ويعزي أباه وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها وكانت حاضرة الأندلس يقول فيها:

أَرَجَّـــةُ الصَّعْقِ يَوْمَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ ... أَمْ دَكَّـةُ الطُّورِ يَـوْمَ الصَّعْقِ فِي الطُّورِ
أَمْ هَـدَّةُ الأَرْضُ إِظْهَـارًا لِمَا زَجَرَتْ ... بِـــهِ الخَلِيـقَةُ مِنْ إِيقَـاعِ مَحْـــذُورِ
أَمِ الكَـــوَاكِبِ فِي آفَـاقِـهَا انْتَثَرَتْ ... وَبـــاتَتِ الشَّمْـسُ فِي طَيٍّ وَتَكْـوِيرِ
مَـا لِلنَّهَـــارِ تَعَرَّى مِنْ ثِيَـــابِ سَنَا ... وَشَـــابَهَ اللَّيْـــلَ فِي أَثْـــوَابِ دَيْجُورِ
قَدْ كَـــانَ لِلصُّبْحِ طَـــرَفٌ زَانَـهُ بَلَقٌ ... مُقَـــسَّمُ الخَلْـــقِ بَيْنَ الـدَّجْنِ وَالنُّورِ
فَمَـــا المُلِّـــمُ الَّـــذِي غَشَّى بِدُهْمَتِهِ ... أَدِيمَـــهُ عَنْبَـــرًا مِنْ بَعْدِ كَـــافُورِ
أَصِخْ لِتَسْـــمَعَ مِـــنْ أَنْبَـــائِهَا نَبَـــأً ... يَطْـــوِي مِـنَ الأُنْسِ فِيهِ كُلَّ مَنْشُـورِ
وَانْظُـــرْ فَـإِنَّ بَنِي عَدْنَانَ مَـا حُشِرُوا ... إِلَّا لِـــرُزْءٍ عَـظِيمِ القَـــدْرِ مَشْـــهُورِ
وَافَى مَـــعَ العِيدِ لَا عَادَتْ مَضَـاضَتُهُ ... فَشَـــابَ سِلْسَـــالُهُ الأَصْفَى بِتَكْدِيرِ
وَاعْتَـــامَ دَارًا لَـهَا فِي السُّبْقِ جَمْـهَرَةٌ ... مِـــنَ المَفَـــاخِرِ أَزْرَتْ بِـــالجَمَاهِيرِ[1]

يبدأ الشاعر قصيدته بالتساؤل هل هي رجة الصعق يون يُنْفَخُ في الصور يوم القيامة؟ أم دكة الطور وهو جبل الطور المذكور في القرآن الكريم؟ أم هي هدة الأرض لتخرج من جوفها ما يوجد تحت الثرى؟ وهذا ليصور لأبي عبد الله هول الفاجعة بعد فقدان ولده، ثم وصفه بأنه مثل النهار وقد تعرى من ثيابه الفاخرة التي كان يلبسها، وقد شابه الليل ويقصد به ظلمة القبر في أثواب ديجور وهو يقصد

[1]– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، طنجة، المغرب، ط2، دت، ج3، ص: 881.

بها الكفن، وبعد أن كان يتَعَطَّرُ بالكافور أصبح الآن عطره العنبر، وهو الذي يوضع على الميت عند تكفينه.

ثم أضاف الشاعر يقول:

رَمَى قُـرَيْشًا فَـــأَصْمَى سَهْمُ حَادِثِهِ ... أَبْنَـــــاءَ فِهْرٍ بِتَـــوْفِيقِ المَـقَـادِيرِ

فَخَانَهَا الجَدُّ فِي ابنِ الجَدِّ يَوْمَ قَـضَى ... وَأَثَّـــرَ الخَطْـــبُ فِيهَا أَيَّ تَـــــأْثِيرِ

لِلَّهِ وَالمَجْـــدُ مَـا أَبْقَـــاهُ مِـــنْ أَثَرٍ ... أُخْـــرَى اللَّيَـــالِي بِطَيْبِ الذِّكْرِ مَأْثُورِ

نَـــوَّارَةٌ عِنْـدَمَا رَاقَـــتْ بِدَوْحَتِـــهَا ... أَهْـــوَتْ إِلَى التُّرْبِ مِنْ بَيْنِ النَّـــوَاوِيرِ

جَـارَ الذُّبُـــولُ عَلَيْـهَا عِنْدَمَا مَلَأَتْ ... مَعَـاطِسَ الدَّهْرِ مِنْ طِيبٍ وَتَعْطِيـرِ

وَسَيْفُ بَأْسٍ لِكَـــسْرِ الخَطْبِ أَغْمَدَهُ ... صَرْفَ الحَـوَادِثِ فِيـــهَا بَعْدَ تَكْسِيرِ

قَضَى، فَرَافَقَ شَهْرُ الصَّـوْمِ مُرْتَـــحِلًا ... وَوَافَقَ الشَّـــهْرَ فِي فَضْـــلٍ وَتَطْهِيـــرِ

وَاخْتَـــارَهُ خَاطِـــبُ الخَطْبِ المُلِمّ بِهِ ... لِلـــصِّهْرِ كُفْؤًا فَأَمْـــضَ العَقْدَ لِلْـحُورِ

فَسَـــارَ لِلْحِينِ مَسْـــرُورًا، وَخَـلَّفَنَـا ... لِلْحُزْنِ، فَاعْـجَبْ لِمَحْزُونٍ بِمَسْرُورِ

نَادَيْتُ يَـا حَـادِيَ الأَحْزَانِ يَـوْمَ حَدَا ... أَظْعَـــانُ قَلْبِي، رِفْقًـــا بِالقَـــوَارِيرِ[1]

بعد أن ذكَّر بأن الموت قد أخذ قريشا من قبل بتوفيق المقادير، أي أن الموت مقدر على الخلق، وقد خان الجد في ابن الجد وأثر فيه الخطب أيما تأثير، ثم بدأ في وصفه على عادة شعراء الرثاء، فوصفه بأنه نوَّارة (وهو تشبيه بليغ) وعندما تفتَّحت، جاءها الموت فجأة فأصبحت تحت التراب من بين جميع النواوير وهي الورود، حيث عندما ملأت الدنيا بعطرها وطبيب رائحتها، أذبلها الموت وحرم والده وأهله منه، ونبَّهَ إلى أنه قضى نحبه في شهر رمضان، وقد وافق شهر رمضان في الفضائل والطهر، ولينفس على والده ويُهَوِّنَ عليه من هول المصيبة والفاجعة الأليمة التي أَلَمَّتْ به، وصفه بأنه انتقل إلى دار الآخرة مسرورًا غير أنه ترك أهله ومحبيه بعده في حزن شديد، وكيف لشخص أن يحزن على مسرور لأنه سيلقى خيرًا كثيرًا عند ربه وبأنه سيتزوج بحور العين.

ومنها أيضا:

[1]– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ص: 882.

فَالوَجْدُ وَالدَّمْعُ مِنْ حُـزْنٍ قَدْ اقْتَسَمَا قَـلْبِي وَجَفْـنِي بِمَنْظُـومٍ وَمَنْثُـورِ
فَـالقَلْبُ بِالغَيْظِ فِي تَصْعِيـدٍ مُسْتَعِـرٍ وَالجَفْـنُ بِالفَيْضِ فِي تَصْـوِيبٍ مَمْطُورِ
وَسَـائِقُ الخَطْبِ يَشْدُو الحَامِـلِينَ لَـهُ يَسُـوقُهُمْ سَوْقَ حَـادِيَ العِيرِ لِلْـعِيرِ
وَلِلْمَـــلَائِكِ فِي آفَاقِـــهَا زَجَـــلٌ قَـــدْ شَفَّعَتْهُ بِتَهْـــلِيـــلٍ وَتَكْبِيـــرِ
ثَنَى المُـصَابُ عَلَى شَيْخِ الجَـزِيرَةِ فِي عَقْـــدٍ وَحَـــلٍّ وَتَقْـــدِيمٍ وَتَأْـــخِيرِ
ذَاقَ الـــــرَّزَايَا عَلَى مِقْـدَارِ مَنْصِـبِهِ وَالابْتِـــلَاءِ عَـــلَى قَـــدْرِ المَقَـــادِيرِ
إِنْ كَـانَ فَرَّقَ شَمْـلَ الأُنْسِ مِنْهُ فَكَمْ أَوْلَاهُ لِلْـــجِدِّ مِـــنْ جَمْـــعٍ وَتَـــوْفِيرِ
يَـا دَهْرُ حَمَـــلْتَهُ وَقْعَ الخُـطُوبِ وَلَـمْ تَـــزَلْ تُنَفِّـــذُ عَنْهُ كُـــلَّ مَـــأْمُورِ[1]

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات على أن الوجد والدمع قد اقتسما قلبه وجفنه، فراح ينظم الشعر ويكتب النثر لرثاء عبد الله بن أبي بكر، فقلبه يعتصره الحزن والألم، وجفنه فاض بالدموع بكاء على الفقيد، والناس يحملونه على أكتافهم إلى مثواه الأخير بالتكبير والتهليل ووالده على قدر منصبه تأتيه المصائب فيتحملها، ويصبر على كل ما يصيبه.

ومنها أيضا:

فَاسْمَعْ بِقَلْبِكَ، فَـالأَشْيَاءَ نَـــاطِقَةٌ وَأَلْسُـــنُ الحَـــالِ تُغَنِّي كُـــلَّ نِـــحْرِيرِ
مُقَـــدِّمَاتُ اللَّيَالِي طَـــالَمَـــا فَضَحَتْ نَتَـــائِجُ الغَـــدْرِ مِنْهَا كُـــلَّ مَغْـــرُورِ
جَمْعُ السَّـــلَامَةِ مَعْـــدُومُ الوُجُودِ بِهَا فَكَـــمْ بِهَا لِلرَّدَى مِنْ جَمْعِ تَـكْسِيرِ
وَالكَـــوْنُ طِرْسٌ، وَهَذَا الخَلْقُ أَحْـــرُفُهُ وَالحَرْفُ مَـــا بَيْنَ مَمْحُـــوٍّ وَمَبْتُـــورِ
وَالـــدَّهْرُ يُعْرِبُ، وَالأَفْعَـالُ يُظْـهِرُهَا طَـوْعًا وَيُعْجِمُ مِنْـهَا كُـلَّ مَسْـطُورِ
وَإِنَّـــمَا الخَلْقُ أَسْـــمَاءٌ تَعَـــاوَرَهَا إِعْـــرَابُهُ بَيْـــنَ مَـــرْفُوعٍ وَمَـــجْرُورِ
وَكُـــلُّهُمْ فِي مَـدَى الأَعْمَـارِ تَحْسِبُهُمْ كَحَالِـــهَا بَيْـــنَ مَمْـــدُودٍ وَمَقْـــصُورِ
وَالمَوْتُ مِثْـــلُ عُرُوضِيٍّ يُقَـطِّعُ مِنْ أَبْيَـــاتُهُمْ كُـــلَّ مَـــوْزُونٍ وَمَـــكْسُورِ
يَـا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ يَبْقَى وَقَـدْ نُفِضَتْ أَيْـدِي المَقَـادِيرِ مِنْ إِبْـرَامِ تَقْـدِيرِ

[1]– المصدر نفسه: ص: 882.

هَـــذِهِ الحَقِيـــقَةُ لَا مَـا حَدَّثَتْـكَ بِهِ آمَـــالُ نَفْسِـكَ عَـنْ دُنْيَاكَ مِنْ زُورِ[1]

فالشاعر يخاطب أبا بكر بأن يسمع بقلبه الأشياء الناطقة والألسن التي تغني الله النحرير ثم بعد ذلك يبين أن الليالي والدهور طالما فضحت كل من غرته الدنيا وركن إليها ونسي الموت ثم شَبَّه الكون بِالطَّرْسِ والطَّرْسُ هو الصحيفة، والخلق أحرف هذه الصحيفة، والخلق منهم من يمحوه الدهر ومنهم من يبتره، وهذه الدهر يعرب أي يُبَيِّنُ ويظهر أفعال الناس طوعًا ويعجم أي يخفي أخرى، والخلائق عبارة عن أسماء منها ما يكون مرفوعًا أي ظاهرًا مثل ابن أبي بكر، ومنها ما يخفضه الدهر فلا يظهر له ذكر، وأعمارهم مثلهم منها ما يكون طويلا ومنها ما يكون قصيرًا، ثم ينصح من يأمل أن يخلد في هذه الدنيا أن أقدار الناس قد أبرمت دون أن يعلموا عنها شيئًا، وبأن الحقيقة التي يجب أن نعرفها أن الدنيا زائلة، وأنَّ النفس لا تمّنينا إلَّا بالزور عن زخرفة الدنيا الزائلة.

وليبين صحة ما قاله يقول في آخر القصيدة:

سَائِلْ بِكِسْرَى مَلِيكِ الفُرْسِ هَلْ تَرَكَتْ لَـــهُ المَنَـــايَا جَنَـــاحًا غَيْرَ مَكْـــسُورِ
وَانْـــزِلْ بِصَنْعَـــاءَ فِي قَصْـــرِ ذِي يَـزَنٍ تُلْـــمِمُ بِقَصْـــرٍ عَلَى الأَغْيَـارِ مَقْصُورِ
واعْبُـــرْ عَـــلَى حِيرَةِ النُّعْمَـــانِ مُعْتَبِرًا تَعْـبُرُ بِأَطْـلَالِ نُعْـــمَى ذَاتُ تَغْـــيِيرِ
وَأَيْـــنَ مَـــنْ كَانَ سِجْنُ الجِنِّ فِي يَدِهِ وَالإِنْـــسُ وَالجِـــنُّ فِي قَهْـــرٍ وَتَسْـــخِيرِ
وَأَيْـــنَ مُخْـــتَرِقُ الـــدُّنْيَا بِعَـــزْمَتِهِ يَطْوِي الـــبِلَادَ بِـــهَا طَـــيَّ الطَّـــوَامِيرِ
بَـــادُوا فَـــلَيْسَ بِهَا بَادٍ يُحَـــسُّ بِهِ مِنْـــهُمْ وَأَفْنَـــاهُمْ رَيْـــبُ الدَّهَـــارِيرِ
هُـــو القَـــضَاءُ أَبَا بَـــكْرٍ أُصِبْتَ بِهِ فَـــاصْبِرْ وَسَـــلِّمْ لَهُ تَسْلِيـــمَ مَـــأْجُورِ
وَاللهُ يَـــحْرُسُ دُنْيَـــاكُمْ وَيَـــرْفَعُ عَـــنْ سَـــامِي مَمَـــالِيكَ أَنْـــوَاعَ المَحَاذِيرِ[2]

فهو يقول: اسأل كسرى ملك الفرس هل تركت له الموت من شيء إلّا وأتت عليه، ثم يضيف: انزل بصنعاء أي إلى اليمن أين كان يوجد قصر الملك ذي يزن هل بقي منه شيء، ثم اعبر إلى حيرة النعمان بن المنذر ملك المناذرة تعتبر بأطلال مدينتهم ونعم متغيرة كانوا فيها يتنعَّمُونَ، ويتساءل عن نبي

[1]– المصدر نفسه: ص: 883-884.

[2]– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ص: 884-885.

الله سليمان –عليه السلام– الذي كان سجن الجن في يده، وقد سخَّر الله تعالى الإنس والجن في خدمته، فكل هذه الأمم قد بادت وأصبحت في عداد الموتى، ولم يعد يظهر منهم أحد، وفي الأخير يناشد أبا بكر بأن يصبر على قضاء الله وقدره، ويُسَلِّمَ له تسليمًا يؤجر عليه، وفي البيت الأخير دعا الله أ، يحرس عليا أبا بكر، والعليا هي جمع الصفة العليا والكلمة العليا، وأن يديم ملكه، وأن يرفع الله عنه كل أنواع المحاذير، وهذه القصيدة لميمون الخطابي طويلة تتألف من حوالي ستين بيتًا نظمها ميمون الخطابي في رثاء عبد الله بن أبي بكر، ويعزي فيها أبا بكر على الفاجعة الأليمة التي أَلَمَّتْ به، ومواساة له ليخفف من حزنه الشديد، حيث دأب الشعراء العباسيون على رثاء وتعزية الملوك والأمراء، وأبنائهم بقصائد خلدها التاريخ، وهي مبثوثة في كتب التراث.

ونظم ابن زيدون قصيدة يرثي فيها القاضي أبا بكر بن ذكوان يقول فيها:

أَعْـجَبْ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْـفَ تُحَالُ ... وَلِـدَولَةِ العَلِيَـاءِ كَيْفَ تُـدَالُ

لا تَفسَـحْنَ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ المُنى ... إِنَّ اِغتِـرَارَكَ بِالـمُنَى لَضَـلَالُ

مَـا أَمتَـعَ الآمَـالَ لَـوْلَا أَنَّـهَا ... تَعْتَـاقُ دُونَ بُلُوغِـهَا الآجَـالُ

مَنْ سُـرَّ لَمَّـا عَـاشَ قَـلَّ مَتَـاعُهُ ... فَـالعَيْشُ نَـوْمٌ وَالسُّـرُورُ خَيَـالُ

فِي كُـلِّ يَـوْمٍ نُنْتَحَى بِـرَزِيَّـةٍ ... لِـلأَرْضِ مِـنْ بُرَحَـائِهَا زِلْـزَالُ

إِنْ يَنْـكَـدِر بِـالأَمْـسِ نَـجْمٌ ... ثَاقِبٌ فَالـيَومَ أَقلَـعَ عَـارِضٌ هَطَّـالُ

إِنَّ النَّـعِـيَّ لِجَـهْـوَرٍ وَمُـحَمَّدٍ ... أَبْـكَى الغَمَـامَ فَـدَمْعُهُ مُنْثَـالُ

شَكْـلَانِ إِنْ حُـمَّ الحِمَـامُ تَجَـاذَبَا ... لَا غَـرْوَ أَنْ تَتَجَـاذَبَ الأَشْكَـالُ[1]

يقول الشاعر في هذه الأبيات: أعجب لحال السرو، والسرو هو الشرف والسيادة كيف تدال، أي كيف تتحول وتتبدل، وما أمتع الآمال لولا أنها تنتهي قبل بلوغها آجالها، ويقول: كل يوم ننتحي بِرَزِيَّةٍ، أي كل يوم نُقْصَدُ ونُبْتَلَى ببلية تتزلزل الأرض من شدتها، ويقول أيضا: إن ينكدر بالأمس نجم ثاقف أي يسقط في إشارة إلى وفاة أبا بكر بن ذكوان، فاليوم أقلع عارض هَطَّالُ، أي ممطر يهطل

[1]– **ابن زيدون**: الديوان، دراسة وتهذيب: عبد الله سنده، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 200.

بالمطر في إشارة وكناية عن خلافة من مات ويضيف في رثائه قائلًا: إن النعي لجهور ومحمد، أي الناعي لهما أبكى الغمام بدمع منثال أي يسيل غزيرًا.

ويضيف قائلًا:

وَلَّى أَبُـــو بَكْرٍ فَـــرَاعَ لَهُ الهَـوَى هَـــوْلٌ تَقَـــاصَرَ دُونَـــهُ الأَهْـــوَالُ
قَمَرٌ هَـوَى فِي التُّرِبِ تُحْـتَى فَـوْقَهُ لِلَّهِ مَـــا حَـازَ الثَـــرَى المُنْهَـــالُ
قَـــدْ قُلْـتُ إِذْ قِيلَ السَّـــرِيرُ يُقِلُّـهُ هَـــلْ لِلـــسَّرِيرِ بِقَـــدْرِهِ اِسْتِقْـــلَالُ
الآنَ بَيَّـــنَ لِلعُقُـــولِ زَوالُـــهُ أَنَّ الجِبَـــالُ قُصَـــارُهُـــنَّ زَوَالُ
مَا أَقْبَـحَ الـدُّنْيَا خِـلَافَ مُـوَدَّعٍ غَنِيَـتْ بِـهِ فِي حُسْنِـهَا تَـخْتَـالُ
يَـــا قَبْرُهُ العَـطِرَ الثَّـــرَى لَا يَبْعَدَنَ حُلْوٌ مِـــنَ الفِتْيَـانِ فِيـكَ حَـلَالُ
مَـــا أَنْتَ إِلَّا الجَفْـــنُ أَصْبَـحَ طَيَّـهُ نَصْلٌ عَلَيْـهِ مِنَ الشَّبَـابِ صِقَـالُ
فَهُنَـاكَ نَفَّـاحُ الشَمَـائِلِ مِثْلَـمَا طَرَقَـتْ بِأَنْفَـاسِ الرِّيَـاضِ شَمَـالُ
دَانٍ مِـــنَ الخُلُـقِ المُـزَيّنِ نـازِحٌ عَـــنْ كُـلِّ مَا فِيـهِ عَلَيْـهِ مَقَـالُ

يقول الشاعر: ولَّى أبو بكر فراع له الهوى، أي مات أبو بكر ففزع له الهوى، هَوَل "تقاصرت دونه الأهل أي كل الأهوال تقاصرت لموت أبا بكر، ثم شَبَّهَهُ بالقمر تهال الأثرية فوقه بعد دفنه، ثم قال: الآنَ بَيَّنَ للعقول زواله أن الجبال قُصَارُهُنَّ زوال، قصارهن أي آخرهن والمعنى أن لابد لكُلِّ عالٍ من نزول وزوال، وقال: ما أقبح الدنيا خلاف مُودِّعٍ، أي بعد الذي ودعوه وهو أبو بكر، عنيت به في حسنها تختال، أي كانت تختال به حال حياته، ثم قال: يَا قَبْرُهُ العَطِرَ الثَّرَى لَا يَبْعَدَنَ حُلْوٌ مِنَ الفِتْيَانِ فِيكَ حَلَالُ، أي حَلَّ فيك فتى، لَا رَيْبَةَ فيه حلو المنطق، نَفَّاحُ الشَمَائِلِ، أي: ذو طباع تنفح طيبا، فوصفه بأنه ذو طبا تنفح منها الريح الطيبة، دَانٍ مِنَ الخُلُقِ المُزَيّنِ نازِحٌ، أي: قريب من الخلق المزين نازِحٍ أي: بعيد عن كل ما فيه وقدح.

وجاء في القصيدة أيضًا:

مَـنْ لِلْعُلُومِ؟ فَقَدْ هَـوَى العَلَمُ الَّـذِي وُسِمَـــتْ بِـــهِ أَنوَاعُهَـــا الأَغْفَـــالُ
مَـــنْ لِلقَضَـــاءِ يَعِـــزُّ فِي أَثنـــائِهِ إِيضَـــاحُ مُظلِمَـــةٍ لَهَا إِشْكَـــالُ؟

مَـــنْ لِليَتِيـــمِ تَتـــابَعَـــتْ أَرْزَاؤُهُ؟ هَلَكَ الأَبُ الحَـانِي وَضَـاعَ المَـالُ
أَعْزِز بِـأَنْ يَنْعَـاكَ نَعْـيَ شَمَـاتَةٍ لِلْأَوْلِيَـاءِ المَعْشَـرُ الأَقْتَـالُ
فُجِعَتْ رَحَـى الإِسْـلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا لَيْتَ الحَسُـودَ فِـدَاكَ فَهُـوَ ثِقَـالُ
زُرْنَـاكَ لَـمْ تَأْذَنْ كَـأَنَّكَ غَافِـلٌ مَـا كَـانَ مِنْكَ لِـوَاجِبٍ إِغْفَـالُ[1]

يقول الشاعر: قد هو العلم بعد وفاتك الذي وُسِمَتْ به الأنواع المبهمة، كما ضاع القضاء الذي كان يجد لكل مظلمة وإشْكَالٍ حلًّا، كما أن اليتيم قد تتابعن مصائبه بسبب وفاة أبو بكر الذي كان يعتبر أبا حنونا لكل يتيم، يرأف على الأيتام، ويتكفل بهم، ثم يعنيه بأن رحى الإسلام فجعت بعظيمها الذي فقدته لأنه يغفل عن آداء واجباته.

ومنها أيضًا:

أَيْـــنَ الحَفَـــاوَةُ رَوْضُـهَا غَضُّ الجَنَى أَيْنَ الطَّـلَاقَةُ بِشْـــرُهَا سَلْـــسَالُ
أَيَّـــامَ مَـــنْ يَعْرِضْ عَلَيْـكَ وِدَادَهُ يَكُـــنِ القَبُـــولُ بَشِيـــرُهُ الإِقْبَـــالُ
مَهْـمَا نُغِبُّـــكَ لَا نُـــرِبْكَ وَإِنْ نَـزُرْ رِفْـــهاً فَـــمَا لِـــزِيَارَةٍ إِمْـــلَالُ
هَيْهَـــاتَ لْا عَهْـدٌ كَعَهْـدِكَ عَـائِدٌ إِذْ أَنْـتَ فِي وَجْـــهِ الـزَّمَانِ جَمَـــالُ
فَـاذْهَبْ ذَهَـابَ البُـرْءِ أَعْقَبَهُ الضَّنى وَالأَمْـنِ وافَـتْ بَعْـــدَهُ الآجَـــالُ
لَـــكَ صَالِـحُ الأَعْمَـالِ إِذْ شَيَّعْتَهَا بِـــالبِرِّ سَـــاعَةَ تُعْـرَضُ الأَعْـمَالُ
[حَيَّا] الحَيَـا مَثْـوَاكَ وَامْتَـدَّتْ عَلَى ضَـاحِي ثَـرَاكَ مِنَ النَّـعِيمِ ظِـــلَالُ
وَإِذَا النَّسِيـمُ اِعْتَـلَّ فَاعْتَـامَـتْ بِهِ سَـــاحَاتِكَ الغَـــدَوَاتُ وَالآصَـــالُ
وَلَئِـــنْ [أَلَكَ] بَعْـــدَ طُـولِ صِيَانَةٍ قَـــدَرٌ فَكُـــلُّ مَصُـــونِهِ [سَيُزَالُ]
سَيَحُـــوطُ مَـــنْ خَلَّفْـتَهُ مُسْتَبْـصِرٌ فِي حِفْـــظِ ما اِسْتَـــحْفَظْتَهُ لَا يَالُو[2]

يقول الشاعر: اين تلك الحفاوة والطلاقة والبشر التي روضها غض الثمر، أيام كنت في زمانك تحفظ الود وتقابله بالإحسان، ويقول مهما نغيب عنك فلا ريبة فيك كل يوم فزيارتك لا تُمَلُّ، ويخاطبه قائلًا: فاذهب ذهاب الشفاء قد أعقبه المرض كناية عن الحزن الشديد الذي أَلَمَّ بعد وفاته، ويدعو له

[1]– **ابن زيدون**: الديوان، ص: 202.

[2]– **ابن زيدون**: الديوان، ص: 203.

بأن صالح أعماله التي عملها في الدنيا سيلقاها ساعة عرض الأعمال يوم الحساب، ثم يقول: حَيَّا المطر قبرك، وامتدت على ترابك ظلال النعيم، وضعف النسيم فاعتامت به الغدوات والآصال أي: الصباح والمساء ويقول له أزالك أمر مقدر وسيزول، وسيحوط من خلفته، أي سوف يحفظ ويُحيطُ من خلفته ورائك، أي من سيخلفه في القضاء، لا يالو: أي لا يقصر في عمله.

ويقول في نهاية القصيدة:

كَفَـــلَ الـــوَزِيرُ أَبُـــو الوَلِيدَ بِجَبـــرِهِم ... إِنَّ الـــــوَزِيرَ لِمِثْلِـــــــهَا فَعَّـــــالُ
مَلِكٌ سَجِيَّـــتُهُ الـــوَفَاءُ فَمَـــا لَـــهُ ... بِـــالعَـــهْدِ فِي ذِي خِـــلَّةٍ إِخْـــلَالُ
حَتَمٌ عَلَـــيْهِ لَعَـــا لِعَثْرَةِ حـــاهِمْ ... قَـــدْ تَعْثُـــرُ الحَـــالَاتُ ثُمَّ تُقَـــالُ
إِيهًـــا بَنِي ذَكْـــوانَ إِنْ غَلَبَ الأَسَى ... فَلَـــكُمْ إِلَى الصَّبْـــرِ الجَمِيـــلِ مَـآلُ
إِنْ كَـــانَ غَـــابَ البَدْرُ عَنْ سَـــاهُورِهِ ... مِنْكُـــمْ وَفَـــارَقَ غَـــابَهُ الرِّئْبَـــالُ[1]

وفي الأخير يؤكد بأن الوزير أبا الوليد يتكفل بجبرهم، فليس بالعهد نقص أو غدر، ومن أقال عثرة أخيه فقد سامحه وقبل عذره، ثم يوصي بن ذكوان بالصبر الجميل، ولا تكون الشكوى إلّا لله وحده.

ونظم أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني قصيدة يرثي فيه أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين يقول فيها:

مَلِـــكُ المُلُـــوكِ وَمَا تَرَكْتَ لِعَـــامِلٍ ... عَمَـــلًا مِـــنَ التَّقْـــوَى يُشَـــارِكُ فِيـــهِ
يَـــا يُـــوسُفُ مَـــا أَنْتَ إِلَّا يُـــوسُفٌ ... وَالكُـــــلُّ يَعْقُـــوبُ بِمَا يَطْـــوِيهِ
اسْمَـــعْ أَمِيـــرَ المُسْلِمِينَ وَنَاصِرَ الـــ ... ـدِّينِ الَّـــذِي بِنُفُـــوسِنَـــا نَفْـــدِيهِ
جُوزِيـــتَ خَيْـــراً عَـــنْ رَعِيَّتِـــكَ الَّتِي ... لَـــمْ تَـــرْضَ فِيـــهَا غَيْرَ مَـــا يُرْضِيـــهِ
أَمَّـــا مَسَـــاعِيكَ الكِـــرَامُ فَإِنَّـــهَا ... خَرَجَـــتْ عَـــنْ التَّكْيِيـــفِ وَالتَّشْبِيـــهِ
فِي كُـــلِّ عَـــامٍ غَـــزْوَةٌ مَبْـــرُورَةٌ ... تُـــرْدِي عَـــدِيـــدَ الـــرُّومِ أَوْ تُفْـــنِيهِ
تَصِـــلُ الجِهَـــادَ إِلَى الجِهَـــادِ مُـــوَفَّقًا ... حَكَـــمَ القَضَـــاءُ بِكُلِّ مَـــا تَقْضِيـــهِ

[1]– المصدر نفسه: ص: 204.

مُتَـــوَاضِـــعًا لِلهِ مُظْـــهِـــرَ دِينِـــهِ فِي كُـلِّ مَـــا تُخْفِيـــهِ أَوْ تُبْـــدِيهِ[1]

فالشاعر وصف يوسف بن تاشفين بأنه ملك الملوك، وبأنه لم يترك لعامل من بعده من التّقوى يشارك فيه، فهو قد عمل كل أعمال التقوى حسب الشاعر، ثم وشبه الشاعر ابن تاشفين بيوسف عليه السلام، والحزن والبث الذي أصاب الرعية من بعده بالحزن والبث الذي تملك بني الله يعقوب عليه السلام، ثم "يشيد بابن تاشفين صاحب موقعة الزلاقة التي أَجَّلَتْ استراد الإسبان الأندلس العربية مئات السنين، ويقول إنه ناصر الذي يفديه كل مسلم بروحه ودمه، ويدعو الله أن يجزيه خير الجزاء عما بذله لرعيته في جهاده المستميت للإسبان وغزواته المتعاقبة واصلًا الجهاد بالجهاد، إعلاء لكلمة الله في تواضع حميد".[2]

ويقول فيها أيضا:

أَمَّـــا مَسَـــاعِيكَ الكِـــرَامُ فَإِنَّـــهَا خَرَجَـــتْ عَـــنْ التَّكْيِيـــفِ وَالتَّشْبِيـــهِ
وَلَقَدْ مَـلَكْتَ بِحَقِّـكَ الدُّنْيَـا وَكَـمْ مَلَـكَ المُلُـوكُ الأَمْـــرَ بِالتَّمْـــوِيهِ
لَـــوْ رَامَـتْ الأَيَّامُ أَنْ تُحْصِـي الَّذِي فَعَلَـتْ سُيُـوفُكَ لَـمْ تَكُـنْ تُحْصِيهِ
إِنَّـا لَمَفْجُـوعُـونَ مِنْـكَ بِوَاحِـدٍ جُمِـعَتْ خِصَـالُ الخَيْـرِ أَجْـمَعَ فِيهِ
وَإِذَا سَمِـعْتَ حَمَـــامَـــةً فِي أَيْـكَةٍ تَـبْـكِي الهَـدِيـلَ فَإِنَّـــهَا تَـــرْثِيـــهِ
وَمَضَى قَـدِ اسْتَرْعَـــى رَعِيَّتَـــهُ ابْنَـــهُ فَـــأَقَـــامَ فِيهِـــمْ حَـــقَّ مُسْتَـــرْعِيهِ
وَإِذَا هَـــزْبَرُ الغَـــابِ ضَـــرَّى شِبْـــلَهُ فِي الغَـــابِ كَـــانَ الشِّبْـــلُ مِثْلَ أَبِيـــهِ
وَإِذَا عَلِـــيٌّ كَـــانَ وَارِثُ مُـــلْكِـــهِ فَـــالسَّهْـــمُ مُـــلَقَّى فِي يَـــدِ بَـارِيهِ[3]

يقول الشاعر في رثائه ليوسف بن تاشفين بأنك ملك الدنيا بحق واستحقاق، أما بقية الملوك فملكوا الأمر بالتمويه والغصب وبغير وجه حق، ثم يقول: لو أرادت الأيام أن تحصي ما فعلته سيوف يوسف لما استطاعت أن تحصيه لكثرة غزواته وجهاده للأعداء والفتك بهم، وحتى صوت الحمامة في

[1]– **علي بن بسام الشنتريني**: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم 2، مج1، ص: 831.
[2]– **شوقي ضيف**: تاريخ الأدب العربي، ج8، ص: 336.
[3]– **علي بن بسام الشنتريني**: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم 2، مج1، ص: 832.

هديلها وصفه الشاعر بأنها ترثي يوسف بن تاشفين، وبعد وفاته تسلم الملك ابنه علي والذي رعى الرعية حق رعايتها، وكان خير خلف لخير سلف، وهو بهذا شبل مثل أبيه، ولم يرث على الملك فقط، بل ورث الجهاد والشجاعة والضرب بالسيف فهو مبارز بارع، فالسيف قد وضعت في يد باريها وقد قالت العرب في هذا الشأن: "أعط السيف باريها"، فهو بهذا يصدق عليه هذا المثل.

**المبحث الثالث: رثاء الأنفس**

كما كان الشعراء العباسيون يرثون الملوك والأمراء والأهل والأصدقاء والأحباب كان العديد منهم يرثي نفسه عندما يتذكر الموت، أو عندما تحل به حادثة كأن يسجن أو تسلط عليه شتى أنواع الظلم والجور والعذاب، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين رثوا أنفسهم نجد الشاعر أبو الحسن المسَفِّر في الموت وفلسفته، ويقال إنها وجدت تحت وسادته بعد وفاته يقول فيها:[1]

قُـــــلْ لإِخْـــوَانٍ رَأَوْنِي مَيْـــتًـــا ... فَبَـــكَـــوْنِي وَرَثَـــوْا لِي حَـــزَنَا
أَعَـــلَى الغَـــائِبِ مِـــنِّي حُـــزْنُكُمْ؟ ... أَمْ عَـــلَى الحَـــاضِرِ مَعَـــكُمْ هَـــا هُنَا
أَتَـــظُنُّـــونَ بِـــأَنِّي مَيِّتُكُـــمْ؟ ... لَيْـــسَ ذَاكَ المَيِّـــتُ وَاللهِ أَنَـــا
أَنَـــا فِي الصُّـــورِ وَهَـــذَا جَـــسَدِي ... كَـــانَ لَبْـــسِي وَقَمِيـــصِي زَمَـــنَا
أَنَـــا كَنْـــزٌ وَحِجَـــابِي طُلْـــسُمٌ ... مِـــنْ تُـــرَابٍ قَـــدْ تَهَيَّـــأَ لِلْفَـــنَا
أَنَـــا دُرٌّ قَـــدْ حَـــوَاهُ صَـــدَفٌ ... طِـــرْتُ عَـــنْـــهُ فَتَخَـــلَّى رَهَـــنَا
أَنَـــا عُصْفُـــورٌ وَهَـــذَا قَفَـــصِي ... كَـــانَ سِجْـــنِي فَأَلِـــفْتُ السَّـــجَنَا
أَشْـــكُرُ اللهَ الَّـــذِي خَلَّـــصَنِي ... وَبَـــنَى لِي فِي المَـــعَـــالِي رُكُـــنَا
كُنْـــتُ قَبْـــلَ اليَـــوْمِ مَيْتًا بَيْنَـــكُمْ ... فَـــحَيِيْـــتُ وَخَلَعْـــتُ الكَـــفَنَا[2]

يقول الشاعر: قل للإخوان الذين رأوني ميتا وبدأوا في بكائي ورثائي علام تبكون؟ أعلى روحي التي انتقلت إلى بارئها؟ أم على جسدي الموجود أمامكم؟ ثم يسألهم: هل تظنون بأني أنا الميت؟ ويجيبهم ويقسم بأنه ليس هو الميت، فهو يقول بأنه في الصور أي في الآخرة وهذا جسده كان قد لبس قميصه زمنا محددًا، ثم وصف نفسه بأنه كان كالعصفور في هذه الدنيا، والدنيا بالنسبة إليه سجن قد ألفه، ثم شكر الله الذي خلصه من سجنه وبنى له في المعالي ركنا في إشارة منه إلى أن الله قد بنى له بيتا في الجنة، وهو يقول: بل قبل هذا اليوم كنن ميتا بينكم، أما الآن فقد حييت وخلعت كفن الدنيا الزائفة والزائلة.

ثم يقول:

[1]– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ص: 879.

[2]– المصدر نفسه: ص: 879.

فَـــأَنَا اليَـــوْمَ أُنَـــاجِي مَـــلاً ... وَأَرَى اللهَ جِهَـــــــارًا عَلَـــــنَا
عَـــاكِفٌ فِي اللَّـــوْحِ أَقْـــرَأُ وَأَرَى ... كُـــلَّ مَـــا كَـــانَ وَيَـــأْتِي وَدَنَـــا
وَطَـــعَـــامِي وَشَـــرَابِي وَاحِـــدٌ ... هُـــوَ رَمْـــزٌ فَـــافْهَمُـــوهُ حَسَـــنًا
لَيْـسَ خَمْـــرًا سَـائِغًا أَوْ عَسَـلًا ... لَا وَلَا مَـــــاءَ وَلَـــــكِنْ لَبَـــنَا
هُـــوَ مَشْـــرُوبُ رَسُـــولِ اللهِ إِذْ ... كَـــانَ يَسْـــرِي فِطْـــرُهُ مَعَ فِطْرِنَا
فَـــافْهَمُـــوا السِّـــرَّ فَفِيـــهِ نَبَـــأٌ ... أَيْ مَعْـــنًى تَحْـــتَ لَفْـــظٍ كَمَنَا
فَـــاهْـــدِمُوا بَيْتِي وَرَضُّـــوْا قَفَـــصِي ... وَذَرُوا الطَّلْـــسَمَ بَعْـــدِي وَثَـــنَا
وَقَمِيصِـــي مَـــزِّقُـــوهُ رَمَـــمًا ... وَدَعُـــوا الكُـــلَّ دَفِيـــنًا بَيْنَـــنَا
قَـــدْ تَـــرَحَّلْتَ وَخَـــلَّفْتُـــكُمْ ... لَسْـــتُ أَرْضَى دَارَكُـــمْ لِي وَطَـــنَا[1]

يخبر الشاعر أهله وأحبابه بأنه يناجي ملأً خيرًا منهم، وهو يرى الله جهرة علنا، فأي جزاء أفضل من هذا الجزاء الذي لقبه في أخراه، ويقول بأنه عاكف على اللوح يقرأ أي القرآن، ويرى كل ما كان، وكل ما سيأتي وكل ما قرب منه بفضل من الله عز وجل.

وأصبح طعامه وشرابه واحدًا لم يتغير، فهو ليس خمرًا سائغا للشرب، وليس عسلًا، ولا ماءً، بل هو لبن الذي كان المشروب المفضل للرسول ﷺ حيث كانت فطرة الرسول ﷺ تسري مع فطرتنا، ثم يحثهم على تهديم بيته وأن يدقوا قفصه، وأن يمزقوا قميصه، وأن يجعلوا الكل مدفون بينه وبينهم، فلم يعد في ماله وأغراضه بعده فائدة، ويقول بأنه رحل من الدنيا وترك الكل وراءه، فلم يعد يرضى أن تكون الدنيا وطنًا له.

ومنها أيضا:

فَـــاهْـــدِمُوا بَيْتِي وَرَضُّـــوْا قَفَـــصِي ... وَذَرُوا الطَّلْـــسَمَ بَعْـــدِي وَثَـــنَا
حَـــيٌّ ذِي الـــدَّارِ نَـــؤُومٌ مُغْـــرِقٌ ... فَـــإِذَا مَـــا مَـــاتَ أَطَـــارَ الوَسَنَا
لَا تَظُنُّـــوا المَـــوْتَ مَـــوْتًا إِنَّـــهُ ... لَحَيَـــاةٌ هِيَ غَـــايَـــاتُ المُـنَى
لَا تَـــرُعْكُمْ هَجْـــمَةُ المَـــوْتِ فَمَا ... هِيَ إِلَّا نَقْلَـــةٌ مِـــنْ هَـــا هُـــنَا

[1]– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ص: 880.

فَـــاخْلَعُوا الأَجْـــسَادَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ تُبْصِـــرُوا الحَـــقَّ عَيَـــانًا بَيِّـــنَا
وَخُـــذُوا فِي الـــزَّادِ جُهْـــدًا لَا تَنُوا لَيْـــسَ بِالعَـــاقِلِ مِـــنَّا مَـــنْ وَنَى
حَسِّـــنُوا الظَّـــنَّ بِـــرَبٍّ رَاحِـــمٍ تَشْكُـــرُوا السَّـــعْيَ وَتَـــأْتُوا أَمِـــنَا
مَـــا أَرَى نَفْـــسِي إِلَّا أَنْـــتُمْ وَاعْتِقَـــادِي أَنَّكُـــمْ أَنْتُـــمْ أَنَـــا
عُنْصُـــرُ الأَنْفُـــسِ مِـــنَّا وَاحِدٌ وَكَـــذَا الجِسْـــمُ جَمِيـــعًا عَمَّـــنَا
فَمَـــتَى كَـــانَ خَيْـــرٌ لَـــنَا وَمَـــتَى مَـــا كَـــانَ شَـــرٌّ فَبِنَا
فَـــارْحَمُونِي تَرْحَمُـــوا أَنْفُسَـــكُمْ وَاعْلَـــمُوا أَنَّكُـــمْ فِي إِثْـــرِنَـا
أَسْـــأَلُ اللهَ لِنَفْسِـــي رَحْمَـــةً رَحِـــمَ اللهُ صَـــدِيقًا أَمِّـــنَا
وَعَلَيْـــكُمْ مِنْ سَـــلَامِي صَيِّبٌ وَسَـــلَامُ اللهِ بَـــدَأَ وَثَـــنَى
أَبَـــدَ الـــدَّهْرِ إِلى يَـــوْمِ يَرَى بَعْضُـــنَا بَعْـــضًا لِـرَحْبٍ وَهَنَا[1]

يقول الشاعر بأن الله حيٌّ مغرق على عباده بالنعم، والذي مات قد طار عليه النعاس، ثم يحضهم بأن يظنوا الموت بأنه فاجعة بل هو حياة، وهو غايات المنى، ويطمئنهم بأن لا ترعهم هجمة الموت وسكراته، إذ ما هي إلا نقلة من دار الدنيا إلى دار الآخرة، ثم يحثهم على التزود ليوم الرحيل، بقوله: وَخُذُوا فِي الزَّادِ جُهْدًا لَا تَنُوا، أي اجْهِدُوا أنفسكم في التزود ليوم الرحيل من دار الدنيا إلى دار القرار، ولا تنوا، أي: لا تَكِلُّوا ولا تضعفوا، فليس العاقل منا من تعب وضعف في العمل ليوم القيامة.

ويطلب منهم أن يحسنوا الظن بالله لأنه هو الغفور الرحيم يوم القيامة فسيأتون آمنين يوم يلقونه لا يخافون عذاب ولا عقاب، ويقول بأنه يرى نفسه أنفسهم، ويعتقد بأنهم سيصيرون إلى المصير الذي آل إليه هو، فلا أحد يخلد في هذا الدنيا، ويقول أيضا: أن ما كان من خير فلهم، وما كان من شر فمنهم، وطلب منهم أن يرحموه وبالتالي يرحموا أنفسهم وليعلموا بأنهم سائرين على إثره لا محالة، ثم دعا لنفسه بالرحمة، ودعا بالرحمة لكل صديق قال آمين، ثم سَلَّمَ عليهم سلامًا طيبًا، وسلام الله عليهم إلى يوم يلقى بعضهم بعضًا في رحب وهناء في الآخرة.

[1]– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ص: 880-881.

وكتب ابن شُهَيْدٍ الأندلس مقطوعة شعرية يرثي فيها نفسه وأوصى أن تكتب على قبره في لوح من رخام يقول فيها:[1]

يَـا صَاحِبِي قُـمْ فَقَـدْ أَطَلْـنَا أَنَحْـنُ طُولَ المَدَى هُجُـودُ؟
فَقَـالَ لِي لَـنْ نَقُومَ مِنْـهَا مَـا دَامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّـعِيدُ
تَـذْكُرُ كَمْ لَيْـلَةٍ لَـهَـوْنَا فِي ظِلِّـهَا والـزَّمَانُ عِيـدُ؟
وَكَـمْ سُـرُورٍ هَمَى علَيْـنَا سَحَـابَـةً ثَـرَّةً تَـجُودُ؟
كُـلُّ كَـأَنَّ لَمْ يَكُنْ تَقَضَّى وَشُؤْمُـهُ حَاضِـرٌ عَتِيـدُ
حَصَّـلَهُ كَـاتِبٌ حَفِيظٌ وَضَمَّـهُ صَـادِقٌ شَهِيـدُ
يَـا وَيْلَـنَا إِنْ تَنَكَّبَتْـنَا رَحْمَةُ مَـنْ بَطْشُـهُ شَدِيـدُ
يَا رَبِّ عَفْـوًا فَـأَنْتَ مَوْلَى قَصَّـرَ فِي أَمْـرِكَ العَبِيـدُ[2]

فالشاعر ينادي على صاحبه بأن يقوما من قبريهما لأنهما أطالا في النوم، ولكن صاحبه يؤكد له أنهما لن يقوما منها ما دام فوقهما التراب، فهو "يتأسى على التحول إلى هذه الدار التي لا يقوم منها أهلها، فقد خُتِمَتْ بحجارة لا تُفَضُّ حتى يوم البعث والنشور، ويذكر نعيمة في دنياه، وبراه كسحابة جاءت، سرعان ما رحلت، ويفزع إلى رَبِّهِ يطلب منه العفو والغفران".[3]

بحيث يرى الشاعر بأن العباد قد قصروا في حق الله، وارتكبوا المعاصي والذنوب، وأن الله سبحانه وتعالى هو مولاهم وهو الذي يعفو عنهم ويغفر لهم ذنوبهم.

وكتب لسان الدين بن الخطيب أبياتا يرثي بها نفسه بعد أن أُدْخِلَ إلى السجن، وجاء في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري قوله: "لما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه، والعزيز محمد بن عثمان مستبد عليه، وسليمان بن داود بن أعراب كبير عسكر رديفه، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر –عندما

[1]– **شوقي ضيف**: الرثاء، ص: 32.
[2]– **ابن شهيد الأندلسي**: الديوان، ص: 98–99.
[3]– المرجع السابق: ص: 33.

بويع على طنجة- على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه لما نمي إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الأندلس، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه ولازمه بالحصار، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفًا على نفسه، فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن الخطيب، فقبضوا عليه، وأودعوه السّجن، وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر، وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعاده الله إلى ملكه، فلما استقر إليه سلطانه أجاز إليه سليمان سفيراً عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان، فصده ابن الخطيب عن ذلك، محتجًّا بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياص الملك من بني عبد الحق، لأنهم يعسوب زناتة، فرجع سليمان وأثار ذلك حقدًا لابن الخطيب... وبعد إدخاله للسجن ودس سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاؤوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر وقتلوه خنقاً في محبسه".[1]

ولكنه قبل مقتله أحس بأن أجله قد اقترب، خاصة وأنه يعرف حجم الحقد والعداوة التي يكنها له سليمان ابن داود فنظم أبياتًا شعريةً يرثي فيها نفسه، فيقول فيها:

بَعُـــدْنَـا وَإِنْ جَـــاوَرَتْـــنَا البُيُـــوتْ وَجِئْـــنَا بِوَعْـــظٍ وَنَحْـــنُ صُمُـــوتْ
وَأَنْفَـــاسُنَـــا سَكَتَـــتْ دُفْـــعَةً كَجَـــهْرِ الصَّـــلَاةِ تَـلَاهُ القُـــنُوتْ
وَكُـــنَّا عِظَـــامًا فَصِـــرْنَا عِظَـــامًا وَكُـــنَّا نَقُـــوتُ فَهَـــا نَحْنُ قَوْتْ
وَكُـــنَّا شُـــمُوسَ سَمَـــاءِ العُـــلَا غَـــرَبْنَ فَنَـاحَتْ عَلَيْـهَا السُّمُـوتْ
فَـــكَمْ جَـــدَّلَتْ ذَا الحُسَامِ الظُّبَى وَذُو البَحْتِ كَـمْ جَدَّلَتْـهُ البُحُوتْ[2]
وَكَـــمْ سِيـــقَ لِلْقَـــبْرِ فِي خِـــرْقَةٍ فَتًى مُلِئَـتْ، مِـــنْ كِسَـاهُ التُّخُـوتْ
فَقُلْ لِلْعِدَى: ذَهَـــبَ ابْـــنُ الخَطيبِ وَفَـــاتَ، وَمَـــنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُـــوتْ
فَمَـنْ كَـــانَ يَفْـــرَحُ مِنْـــكُمْ لَـــهُ فَقُلْ يَفْـرَحُ اليَـوْمَ مَـنْ لَا يَـمُوتْ[3]

[1]– **المقري**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص: 111.

[2]– **لسان الدين بن الخطيب**: الديوان، تحقيق: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، مج1، ص: 26.

[3]– المصدر نفسه: ص: 26.

بدأ لسان الدين لن الخطيب رثاء نفسه بأنه بعيد عن دياره وإن كانت مجاورة له، وجاء بوعظ وهو صامت، في إشارة إلى أنه لا يسمعه أحد وهو في زنزانته، ثم يقول بأن نفسه سكنت دفعة واحدة فلم تترك له فرصة ليعبر عما في نفسه أو يودع أهله تمامًا كما يصمت المصلي عندما يبدأ في قنوته من صلاة الصبح، ثم يصف نفسه بأنه كان عظيما في مملكة أبو العباس، والآن صار عظاما نخرة، وكان يقوم بتقويت أي بتغذية الناس، والآن يرى نفسه بأنه أصبح قوتا للدود في قبره، ويقول بأنه سيق إلى قبره في خرقة وهي الثياب البالية الرثة بعد ما كان يرتدي أفخم وأفضل الثياب وأغلاها حتى ملئت منها التخوت، أي الخزائن والرفوف، ويقول لأعدائه لقد ذهبت وفاتي ما أردت وسبقتكم إلى الدار الآخرة، ولكنه ينبههم بقوله: من ذا الذي لا يفوت، أي كلهم ذاهبون إلى نفس المصير، ويؤكد لهم بأنه من فرح بقتله فعليه أن يفرح إذا كان لا يموت هو، فالموت مصير كل إنسان.

ويقول أيضًا:

وَمُـــدَّتْ وَقَدْ أَنْكَـــرَتْنَا الثِّيَـــابُ عَلَيْـــنَا نَسَائِجُـــهَا العَنْكَبُـــوتْ
وَمَـــنْ كَـــانَ مُنْتَظِـــراً لِلـــزَّوَالِ فَكَيْـــفَ يُؤْمَـــلُ مِنْـــهُ الثُّبُـــوتْ
سَبِيلِي الجَـدِيدَانِ إِذَا مَـا المَـدَى تَتَـابَـــعَ آحَـــادُهُ وُالسُّبُـــوتْ
وَلَا تَغْتَـــرِرْ بِسَـــرَابِ الحَيَـــاةِ فَإِنَّـــكَ عَـــمَّا قَـــرِيبٌ سَتَمُـــوتْ[1]

يقول ابن الخطيب قد أنكرته ثيابه ونسجت عليها العنكبوت نسيجها، ومن كان ينتظر زواله فكيف يكون فيه أمل الثبوت، وسبيله الجديدان وهما القبر والدار الآخرة إذا تتابع الأحد والسبت في إشارة منه إلى تتابع الأيام، ثم يوصي في الأخير الناس بعدم الاغترار بسراب الحياة فهي حتما زائلة، وأن الإنسان مهما طال عمره فإنه عما قريب سيموت لا محالة.

هذه بعض القصائد التي ضمَّنَاهَا في بحثنا هذا فيما يخص الرثاء في الأدب الأندلسي سواء فيما يخص رثاء المدن والممالك الزالة أو رثاء الأشخاص من ملوك وأمراء وعلماء وأهل وأحباب، أو رثاء الشعراء أنفسهم، وفن الرثاء من الفنون التي شاعت وانتشرت في الأدب الأندلسي خاصة بعد توالي

[1]- المصدر نفسه: هوامش ص: 185-186.

سقوط الدويلات، والفتن التي تثبت بين المماليك، وهو ما جعل الشعراء يعبرون عن هذه الأوضاع من خلال أشعارهم، فأبدعوا لقصائد خالدة عبروا من خلالها عما يجيش في أنفسهم، وهذا البحث لاي مكن أن يحوي كل قصائد الرثاء التي حوتها الكتب، ولهذا اجتزأنا منها بعض القصائد التي رأينا أنها تصب في هذا الموضوع.

# الفصـــل الثاني

# الفصل الثاني:

تمـهيد.

الاستغاثة لغـة.

الاستغاثة اصطـلاحا.

1- استغاثة ابن الأحمر بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

2- قصيدة أبو موسى هارون بن هارون إلى المعتضد بلله السعيد.

3- قصيدة ابن الأّبار في طلب النجدة من صاحب إفريقية.

4- قصيدة مجهول صاحبها يستنجد صاحبها بلسلطان العثماني بيزيد.

**تمهيد:**

من الفنون الشعرية التي شاعت في الأندلس فن الاستغاثة ، وهو يقوم على استنهاض الهمم والاستغاثة بملوك العرب والمسلمين لنجدة الأندلس بعد الاجتياح الإسباني لها ، وهو أحد الفنون التي استحدثها شعراء الأندلس ، وهو فن يقوم على شحذ همم الملوك العرب والمسلمين لكي يهبوا هبة رجل واحد ،لنصرة إخوانهم في الأندلس ، ومساعدتهم للتغلب على أعدائهم الصليب ين الذين بدأوا يشنون إغارات على مدن الأندلس ، وبدأت هذه المدن تسقط الواحدة تلوى الأخرى في أيدي الصلبين، بعد أن استثرى الضعف إلى صفوف الجيش الأندلسي نتيجة إسراف ملوك الأندلس في اللهو والمجون والإسراف على أنفسهم، زيادة على ذلك كثرة الصراعات بينهم، وانشغالهم عن الجهاد، فعوضا عن أن يوحدوا صفوفهم ضد أعدائهم انهمكوا في الحروب فيما بينهم، وهو ما كان فرصة سانحة لأعدائهم للانقضاض عليهم بعد أن علموا أنهم في مرحلة ضعف وتقهقر، ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

**الاستغاثة لغة:**

جاء في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (ت 458 هـ) في مادة (غ و ث) قوله: "أجاب الله غوثاه، وغواثه، وحكى ابن الأعرابي: أجاب الله غياثه، وغوث الرجل، واستغاث: صاح: واغوثاه، واغاثه، وغاثه غوثا، وغياثا، والأولى اعلى، وغوث، وغياث، ومغيث، أسماء".[1]

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ) قوله: "(غوث) الغين والواو والثاء كلمة واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإعانة والنصرة عند الشدة، وغوث: قبيلة".[2]

[1]– **ابن سيدة (علي ابن اسماعيل)**: المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: مراد كامل، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1، 1392هـ – 1973م، ج6، ص:32.

[2]– **ابن فارس (ابو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا)**: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط2، 1399هـ – 1979م، ج4، باب الغين، ص: 400.

وجاء في تاج العروس من جواهر القاموس للزوبيدي (ت 816 أو 817هـ) قوله: الاستغاثة: طلب الغوث، وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكاك من الشدائد، ولم يتعدى في القرآن إلا بنفسه، كقوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾.[1]

وقد يتعدى بالحرف، كقول الشاعر:

حَتَّى اسْتَغَاثَ بِمَاءٍ لِإِرْشَادٍ لَهُ مِنَ الأَبَاطِحِ فِي حَافَاتِهِ البَرَكُ[2]

من خلال ما جاء في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وتاج العروس للزوبيدي، نلاحظ أن الغوث والاستغاثة تدل على طلب الغوث، وهو التخليص من الشدة والنقمة، وطلب العون على الفكاك من الشدائد.

وقد ورد لفظ الإستغاثة في عدة مواضع في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.[3]

قال الشيخ فخر الدين الرازي في تفسير (تستغيثون) أي تطلبون الإغاثة، يقول الواقع في بلية أغثني أي فرج عني.[4]

وجاء عن القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن في شرح كلمة (تستغيثون) الاستغاثة: طلب الغوث والنصر، غوث الرجل: قال: واغوثاه، والاسم: الغوث والغواث والغواث واستغاثني فلان فأغثته والاسم الغياث.[5]

---

[1]– **سورة الأنفال**: {الآية 09}.

[2]– **الزبيدي (محمد مرتضى الحسين)**: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حومة الكويت، ط 1389هـ – 1969م، ج5 باب الثاء، ص: 314.

[3]– **سورة الأنفال**: {الآية 09}.

[4]– **فخر الدين الرازي**: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط، 1401هـ– 1981م، مج 15، ص: 134.

[5]– **القرطبي (ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)**: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1428 هـ – 2006 م، ج9، ص: 457.

نستنتج من خلال هذه النصوص أن الاستغاثة تعني طلب الإغاثة والنجدة والنصرة لمن وقع في بلية وضيق ممن يرى أنهم قادرون على نصرته.

**الاستغاثة اصطلاحا:**

تدل الاستغاثة في الاصطلاح على طلب النصرة والعون عندما يقع المستغيث في شدة ومشقة وقد ذكر الكفوي مصطلح الاستغاثة في معجمه الكليات بقوله:"الاستغاثة: من الغوث وهو النصر والعون. يقال: استغثه فأغاثني، وأما ستغثته فغاثني فهو من الغيث وهو المطر. ولم يجئ (استغاث) في القرآن إلا متعديا بنفسه، والاستغاثة: طلب الانخراط في سلك البعض والنجاة عما ابتلي به البعض الآخر.[1]

وقد شاع هذا النوع من الشعر في الأندلس خاصة في دول الطوائف نظرا للهجمات الشرسة، والإغارات المتتالية للإسبان على مدن الأندلس، "ويعنون له بعناوين متعددة مثل: الاستنفار، والاستصراخ، ويراد به الشعر الذي نظمه شعراء الأندلس، وهو دعوة إلى الجهاد والدفاع، وسجلوا فيه الأحداث التاريخية التي جرت بين أهل الأندلس وبين الدول المعادية، التي كانت تهاجم البلاد الأندلسية منفردة أو مجتمعة أو متحالفة مع بعض الجهات الأوروبية، أو البابوية (في حملة صليبية مشابهة للحملة التي شنت على البلاد المشرقية).[2]

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: "وشعر الاستغاثة أو الاستنجاد هو أحد فنون الشعر التي استحدثها شعراء الأندلس بالإضافة إلى الموشحات والزجل، وهو شعر يقوم على استنهاض عزائم ملوك المغرب العربي في المحل الأول، وهمم المسلمين في شتى أقطارهم، كي يهبو بباعث الأخوة الإسلامية لنجدة إخوانهم بالأندلس، ومديد العون لهم في جهادهم ضد أعدائهم من نصارى الأندلس الذين أطمعهم

[1]– **الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)**: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط2، 1419هـ - 1998م، ص، 114 .

[2]– **محمد رضوان الداية**: في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر دمشق، سورية، ط1، 1421هـ -2000، ص: 160.

ضعف ملوك المسلمين به، فراحوا يضاعفون من إغارتهم على مدنهم ويهددون أهلها بالاكتساح الشامل.[1]

إذن كانت هناك عوامل وظروف لظهور هذا الفن من الشعر، وهي حملات الصلبيين على ملوك الأندلس بعد أن استشرى الضعف بين ظهرانيهم ، فلم يجد الشعراء بدا من نظم قصائد وإرسالها إلى ملوك العرب والمسلمين يطلبون من خلالها نجدة إخوانهم في الأندلس.

وقد شاع هذا النوع من الشعر في الأندلس، وكثر الشعراء الذين برعوا في هذا الفن الشعري "فقد كثر شعر الاستغاثة هذا في الأدب الأندلسي، حتى صار بكثرته وتنوع صوره فنا جديدا في الشعر الأندلسي، بل في الشعر العربي كله، لأنه نابع من صميم مأساة الأندلس، التي لم يكن لها نظير من قبل في تاريخ الإسلام".[2]

نستنتج من هذا النص أن شعر الاستغاثة لم يعرفه العرب من قبل ، بل ظهر أول ما ظهر في الأندلس ، "وقد ظهر هذا النوع من الشعر ظهورا واضحا في عصر دول الطوائف حيث فقد أهل الأندلس مدنا ومواقع ، استرد المرابطون بعضها وضاع بعضها الآخر نهائيا (كضياع طليطلة سنة 476هـ ) ، واشتد ظهور هذا النوع من الشعر في العهد الموحدي في أواخره حين ضعفت تلك الدولة ، وتوالت هزائمها وحصل ما يعرف بالانهيار الكبير الذي فقد فيه الأندلسيون معظم البلاد عدا مملكة غرناطة التي قاومت إلى سنة (897هـ) ، واستمر هذا النوع من الشعر إلى آخر الزمان العربي في الأندلس.[3]

إلا أن هناك من شعراء الأندلس من راح ينعي في شعره بعض ملوك الطوائف الذين لم يقوموا بواجبهم تجاه بلادهم ورعيتهم، وتخاذلهم أمام الأعداء، وجورهم على الرعية وتهاونهم في أمور الدين، وإسرافهم في الترف والمجون لعلهم يستفيقون ويترفعون لمستوى مسؤوليتهم.[4]

---

[1]– **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 412.

[2]– **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 414.

[3]– **محمد رضوان الداية**: في الأدب الأندلسي، ص: 161.

[4]– ينظر المصدر السابق: ص: 414.

ومن هؤلاء الشعراء نجد الكاتب الشاعر أبو عبد الله محمد بن الفازازي الذي يقول:

الرُّومُ تَضْرِبُ فِي البِلادِ وَتَغْنَمُ وَالجُورُ يَأْخُذُ مَا بَقِي وَالمَغْرَمُ
وَالمَـالُ يُـورَدُ كُلُّـهُ قُشْتَالَـةٌ وَالجُنْدُ تَسْقُطُ وَالرَّعِيَةُ تَسْلَـمُ
وَذَوُوا التَّعَيُّنِ لَيْسَ فِيهِمْ مُسْلِمٌ إِلَّا مُعِينٌ فِي الفَسَـادِ مُسَلِّـمُ
أَسَفِي عَلَى تِلْكَ البِلادِ وَأَهْلَهَا اللهُ يَلْطُفُ بِالجَمِيعِ وَيَرْحَـمُ

وقيل: إن هذه الأبيات رفعت إلى سلطان بلده، فلما وقف عليها قال بعدما بكى: صدق رحمه الله ولو كان حيا ضربت عنقه.[1]

وهذا لإدراكه بأنه لم يقم بواجبه كما يجب، لانشغاله بحياة المجون والترف.

ومن أمثلة هذا النوع من الشعر قصيدة أبو جعفر الوقيشي البلنسي، التي وجهها إلى أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي أحد ملوك الموحدين، والتي يدعو فيها إلى الجهاد ونصرة إخوانهم في الأندلس، والتي منها قوله:

أَلا لَيْتَ شِعْـرِي هَلْ يَمُدُّ لِي المَـدى فَـأُبْصِرُ شَـمْلَ المُشْرِكِيـنَ طَـرِيدَا
وَهَلْ بَعْدُ يَقْضِي فِي النَّصَـارَى بِنُصْرَةٍ تُغَـادِرُهُـمْ لِلمُرْهِفَـاتِ حَـصِيدَا
وَيَـغْزُو أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَنْتَتَ يَاقِبٍ يُـعِيدُ عَمِيدَ الكَـافِرِينَ عَمِيـدَا
وَيَلْقِـي عَلَـى إِفْرَنْجَهُمْ عِبْءَ كَلْكَلٍ فَيَتْرُكُـهُمْ فَـوْقَ الصَّعِيـدِ هُجُـودَا
يُغَـادِرُهُمْ جَـرْحَى وَقَـتْلَى مُـبْرِحًـا رُكُـوعًا عَلَـى وَجْهِ الفَلا وَسُجُـودَا
وَيَفْتِـكُ مِـنْ أَيْدِي الطُّغَـاةِ نَوَاعِمًـا تَبَدَّلْـنَ مِـنْ نَظْـمِ الحُجُـولِ قُيُـودَا
وَأَقْبَلْـنَ فِي خُشْنِ المُسُـوحِ وَطَـالَمَا سُحِبْـنَ مِـنَ الوَشْيِ الرَّقِيـقِ بُـرُودَا
وَغَبَّـرَ مِنْهُـنَّ التُّـرَابُ تَـرَائِبًـا وَخَـدَدٌ مِنْهُـنَّ الهَجِيـرُ خُـدُودَا
فَحَـقَّ لِـدَمْعِي أَنْ يَفِيـضَ لِأَزْرَقٍ تَمَلَّـكُهَا دُعْـجَ المَدَامِعِ سـودا
وَيَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ مَعَاصِـمِ طَفْلَـةً تجَـاوِرُ بالقِـدِّ الأَلِيـمِ نُهُـودَا
وَيَـا أَسَفًـا مَـا إِنْ يَـزَالُ مُرَدَّدًا عَلَـى شَمْلِ أَعْيَـادٍ أُعِيـدَ بَـدِيدَا

[1]– **أحمد بن محمد المقري التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص: 467.

وَآهًا تَمُـــدُّ الصَّـــوْتَ مُنْتَحَبًا عَلَـى خُلُوِّ دِيَـــارٍ لَوْ يَكُـــونُ مُفِيـــدَا

وقال في آخرها وهو ما استحسنه الناس:

حَمِلْـتُ إِلَيْهْ مِـــنْ نِظَامِـــي قِـــلادَةً يُلَقِّبُـــهَا أَهْـــلُ الكَـــلامِ قَصِيـــدَا

غَدَتْ يَوْمَ إِنْشَادِ القَرِيـــضِ وَحِيـدَةً كَمَا قَصَدْتُ فِي المَعْلُـوَاتِ وَحِيـدَا[1]

في هذه الأبيات يستغيث أبو جعفر الوقشي البلنسي، ويستنجد بأبي يعقوب على نصرة أهل الأندلس بسبب ما لحق بهم من غزو وقتل، وتنكيل، وسبي للنساء، ويدل على ذلك قوله:

وَيَفْتِـــكُ مِـنْ أَيْدِي الطُّغَـــاةِ نَوَاعِمًـا تَبَدَّلْـــنَ مِـــنْ نَظْـــمِ الحُجُـولِ[2] قُيُودَا

وقد أشار إلى ذلك صراحة في قوله:

حَمِلْـتُ إِلَيْهْ مِـــنْ نِظَامِـــي قِـــلادَةً يُلَقِّبُـــهَا أَهْـــلُ الكَـــلامِ قَصِيـــدَا

فقد نبه الشاعر الملك بأن نساء المسلمين في الأندلس قد أبدلن في مكان الحجول وهي الخلاخل السلاسل، وهو دليل على الاعتقال والسبي، وهذا الهول الموقف، فالمسلمون لا يرضون بأن تسبى نسائهم، والعربي معروف بشهامته لا يرضى أن تهان زوجته أو أمه أو أخته، أو أية واحدة من نساء العرب، فأراد إعلامه بخطورة الوضع، وما آل إليه المسلمون في الأندلس حتى لا يتأخر في نجدتهم.

ومن نماذج شعر الاستغاثة قصيدة ابن الأبّار، وهي قصيدة طويلة تضم تسعون بيتا "وقد قدمها ابن الأبّار إلى أبي زكرياء الحفصي سنة 635هـ بعد ضياع بلنسية يستنهض فيها همته لاستنقاذ الأندلس.[3] والتي يقول فيها:

---

[1]– **أحمد بن محمد المقري التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص: 478.

[2]– **الحجول**: جمع حجل بفتح الحاء أو كسرها مع سكون الجيم: الخلخال، والجمع أحجال وحجول، ينظر ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، باب الحاء: ص: 778.

[3]– **ابن الأبّار**: ديوان ابن الأبّار، قراءة وتعليق، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دط، 1420هـ-1999م، ص:35.

عاطفاتك: أي الدوافع من رحم وقرابة ودين.

– حوباءها: النفس.

– القصوى: يشير إلى أن الأندلس إيالة تابعة لتونس الحفصية.

– أرشية: جمع رشاء وهو الحبل: من راش الجناح جعل لها رشيا.

نَـادَتْكَ أَنْدَلُـــسٌ فَلَبِّ نِـــدَاءَهَـــا وَاجْعَلْ طَـوَاغِيتَ الصَّـلِيبِ فِدَاءَهَـا
صَـــرَخَتْ بِدَعْوَتِـــكَ العَلِيَّـةُ فَاحْبُهَـا مِنْ عَاطِفَاتِـــكَ مَـا يَقِـي حَـوْبَاءَهَا
وَاشْدُدْ بِجَلْبِـكَ جُـــرْدَ خَيْلِكَ أَزْرَهَا تَـــرْدُدْ عَلَـى أَعْقَابِـــهَا أَزْرَاءَهَـــا
هِـــيَ دَارُكَ القُصْـــوَى أَوَتْ لإِيَالَـــةٍ ضَمِنْتَ لَهَـــا مَعَ نَصْـــرِهَا إِيوَاءَهَـا
وَبِهَـــا عَبِيـــدُكَ لا بَقَاءَ لَهُمْ سِوَى سُبُلَ الضَّـرَاعَةِ يَسْلُكُـــونَ سَـوَاءَهَـــا
خَلَـــعَتْ قُلُوبُـــهُمْ هُنَـــاكَ عَزَاءَهَـا لَمَّـــا رَأَتْ أَبْصَـــارُهُمْ مَـــا سَاءَهَـــا

إلى أن يقول:

رِشْ أَيُّهَـــا المَوْلَى الرَحِيمُ جَنَاحَـــهَا وَاعْقِـــدْ بِأَرْشِـــيَةِ النَّجَـاةِ رِشَـاءَهَـا
أَشْفَـــى عَلَى طَـرَفِ الحَيَاةِ ذَمَـاؤُهَا فَاسْتَبْـــقَ للـدِّينِ الحَنِيـــفِ ذَمَـاءَهَـا
حَـاشَاكَ أَنْ تَفْـــنَى حُشَاشَتُهَا وَقَـدْ قَصَـرَتْ عَلَيْـــكَ نِـدَاءَهَـــا وَرَجَاءَهَـا

في هذه الأبيات وظف الشاعر العبارات التي تلامس فؤاد الملك وتستنهض همه، وتجعله لا يتوانى في نجدة الأندلس، ومن ذلك قوله: نادتك أندلس فلب نداءها، وصرخت بدعوتك العلية فأحبها، وهي دارك القصوى، في إشارة إلى أنها تابعة لمملكته، ورش أيها المولى الرحيم جناحها، وهذه العبارات لها وقع في النفوس، وخاصة في نفوس الملوك إذا استنجد بهم رعيتهم.

ويقول في قصيدته هذه ملتمسا النصرة على الأعداء عله يجد آذانا صاغية:

مَـــوْلايَ هَـــاكَ مُعَـــادَةً أَنْبَاءَهَـــا لِتُنِيـــلَ مِنْـــكَ سَعَـــــادَةً أَبْنَاءَهَـــا
جَرِّدْ ظُبَـاكَ لِمَحْتـوِ آثَـــارِ العِـدَى تَقْتُـــلْ ضَرَاغِمَهَـا وَتَسْـــبِ ظِبَاءَهَـا
وَاسْتَـــدْعِ طَـائِفَةَ الإِمَـامِ لِغَزْوِهَـــا تَسْبِـــقْ إِلَـــى أَمْثَالِهَـــا اسْتِدْعَاءَهَـا
لا غَرْوَ أَنْ يُعْـزَى الظُّهُـــورُ لِمِلَّـــةٍ لَمْ يَبْرَحُـــوا دُونَ الـــوَرَى ظُهَرَاءَهَـا
إِنَّ الأَعَـــاجِمَ لِلأَعَـــارِبِ نُهْبَـــةً مَهْـمَا أَمَـــرْتَ بِغَزْوِهَـــا أَحْيَاءَهَـــا
تَـــاللهِ لَوْ دَبَّـــتْ لَـــهَا دَبَّابُهَـــا لَطَـــوَتْ عَلَيْهَـا أَرْضَـهَا وَسَمَـاءَهَـا
وَلَـــوْ اسْتَقَلَّتْ عَوْفَاءَهَـا لِقِتَالِهَـــا لاسْتَقْبَلَـــتْ بِالمُقْرَبَـــاتِ عَفَاءَهَـا
أَرْسِـــلْ جَوَارِحَهَا تَجِئْكَ بِصَيْدِهَـــا صَيْدًا وَنَـــادِ لِطَحْنِهَـــا أَرْحَـــاءَهَا

– ذماؤها: بقية الروح.

هُبُّوا لَهَا يَا مَعْشَرَ التَّوْحِيدِ قَدْ آنَ الهُبُوبُ وَأَحْرِزُوا عَلْيَاءَهَا[1]

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر وظف أفعال الأمر للدلالة على فضاعة المحنة إذ الأمر يتطلب السرعة وعم التباطؤ، إذ لا مجال للإطناب، بل الأمر يقتضي التصريح والإفصاح عما يختلج في نفسية الشاعر، ومن وائه جميع سكان الأندلس مما لحق بهم من طرف أعدائهم.

ومنها أيضا:

نُقِصَتْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أَطْرَافِهَا فَاسْتَحْفِظُوا بِالمُؤْمِنِينَ بَقَاءَهَا
حَاشَاكُمْ أَنْ تُظْهِرُوا إِلْقَاءَهَا فِي أَزْمَةٍ أَوْ تُضْمِرُوا إِقْصَاءَهَا
خُوضُوا إِلَيْهَا بَحْرَهَا يُصْبِحُ لَكُمْ رَهْوًا وَجُوبُوا نَحْوَهَا بَيْدَاءَهَا
وَافَى الصَّرِيحُ مُثَوَّبًا يَدْعُو لَهَا مَنْ يَصْطَفِي قَصْدَ الثَّوَابِ ثَوَاءَهَا
دَارُ الجِهَادِ فَلا تَفُتْكُمْ سَاحَةً سَاوَتْ بِهَا أَحْيَاؤُهَا شُهَدَاءَهَا
هَذِي رَسَائِلُهَا تُنَاجِي بِالَّتِي وَقَفَتْ عَلَيْهَا رَيْثَهَا وَنَجَاءَهَا[2]

فهو يدعو إلى الجهاد، ويدعو إلى عبور البحر إلى الأندلس فيصبح لهم رهوا سهل العبور.

وقد أطنب الشاعر في وصف تلبية أبي زكريا الحفصي لاستغاثته، وعبور جيشه البحر إلى الأندلس والفتك بأعدائه، وانتصاراته الباهرة، وتخليص الأندلسيين من الظلم والجور والقهر المسلط عليهم، فنراه يقول:

وَبِحَسْبِهَا أَنَّ الأَمِيرَ المُرْتَضَى مُتَرَقِّبٌ بِفُتُوحِهَا أَنْبَاءَهَا
فِي اللهِ مَا يَنْوِيهِ مِنْ إِدْرَاكِهَا بِكَلاءَةٍ يَفْدِي أَبِي أَكْلاءَهَا
بُشْرَى لأَنْدَلُسٍ تُحِبُّ لِقَاءَهُ وَيُحِبُّ فِي ذَاتِ الإِلَهِ لِقَاءَهَا
صَدَقَ الرُّوَاةُ المُخْبِرُونَ بِأَنَّهُ يَشْفِي ضَنَاهَا أَوْ يُعِيدُ رُوَاءَهَا
إِنْ دَوَّخَ العُرْبُ الصِّعَابَ مَقَادَةً وَأَبَى عَلَيْهَا أَنْ تُطِيعَ إِبَاءَهَا

[1]– **ابن الأبّار**: الديوان، ص: 37
– المقربات: وهي التي يقرب معلفها أو مربطها لكرامتها
– المعربات: الخيل التي يسرع بها.
[2]– المرجع نفسه، ص: 38.

فَكَـــأَنْ بِفَيْلَقِهِ العَرَمْـرَمُ فَالِـــــقًا هَـــامَ الأَعَـاجِمُ نَاسِـفًا أَرْجَـاءَهَا
أَنْذِرْهُمُ بِالبَطْشَـةِ الكُـبْرَى فَقَـــدْ نَـذَرَتْ صَوَارِمُـهُ الرِّقَـاقُ دِمَـاءَهَا
لا يَعْدَمُ الزَّمَـنُ انْتِصَـــارَ مُـؤَيِّدٍ تَتَسَـــوَّغُ الـــدُّنْيَا بِـــهِ سَـــرَّاءَهَا
مَـلِكٌ أَمَـدَّ النَّيِّـرَاتِ بِنُـــورِهِ وَأَفَـــادَهَا لُأْلاَؤُهُ لُأْلاءَهَـــا
خَضَعَـــتْ جَبَـابِرَةُ المُلُـوكِ لِعِزِّهِ وَنَضَـتْ بِكَفِّ صِغَـارِهَا خُيَـلاءَهَا
أَبْقَـى أَبُـو حَفْصٍ إِمَـــارَتَهُ لَهُ فَسَمَـــا إِلَيْـهَا حَامِـلاً أَعْبَـاءَهَا
سَـــلْ دَعْـوَةَ المَهْدِيِّ عَـــنْ آثَارِهِ تُنْبِئْـــكَ أَنَّ ظُبَـــاهُ قُمْـــنَ إِزَاءَهَا
فَغَـــزَا عِـدَاهَا وَاسْتَـرَقَّ رِقَابَـــهَا وَحَمَـــى حِـمَاهَا وَاسْتَرَدَّ بَهَـاءَهَا
قَبَضَـتْ يَدَاهُ عَلَى البَسِيـطَةِ قَبْضَـةً قَـادَتْ لَـهُ فِـي قَـــدِّهِ أُمَـــرَاءَهَا
فَعَلَـى المَشَـارِقِ وَالمَغَـارِبِ مَيْسَـــمٌ لِهُـــدَاهِ شَـرَّفَ وَسْمُـــهُ أَسْمَـاءَهَا
تَطْمُـــو بِتُونِسِـهَا بِجَارُ جُيُوشِـــهِ فَيَـــزُورُ زَاخِـرَ مَوْجِـــهَا زَوْرَاءَهَـا[1]

في هذه الأبيات وصف الشاعر استجابة الملك أبو الحفصي لنداء الأندلسيين، فسار بجيشه، حتى خضعت له، وبسط يداه عليها، واصفا إياه بأنه حمى حماها واسترد بهاءها وجمالها، حيث أبقاها إمارة تابعة لملكه، لأن الأندلسيين كانوا يترقبون أنباءه لإعادة فتحها من جديد، وبسيره إليها استبشرت الأندلس خيرا بذلك.

وفي آخر القصيدة مدح الشاعر الملك أبو حفص بأبيات تبرز خصاله وفضله على الأندلس فقال:

كَـالغَيْثِ صَبَّ عَلَى البَسِيـطَةِ صَوْبَهُ فَسَـقَى عَمَـائِرَهَا وَجَـادَ قَـوَاءَهَا
يَنْمِـيهِ عَبْدُ الوَاحِـدِ الأَرْضَـى إِلَى عُلْيَـا تَجَنَّـحَ بَأْسُـهَا وَسَخَـاءَهَا
فِـي نَبْعَـةٍ كَـرُمَتْ وَطَابَـتْ مَغْرِسًا وَسَمَـتْ وَطَالَـتْ نَضْـرَةً نُظَـرَاءَهَا
ظَـهَرَتْ بِمُحْتَدِهَـا السَّمَاءُ وَجَاوَزَتْ بِسُـرَادِقَاتِ فَخَـارِهَا جَوْزَاءَهَـا
فِئَةٌ كِـرَامٌ لا تَكُـفُّ عَـنْ الوَغَى حَتَّـى تُصَـرِّعُ حَوْلَهَـا أَكْفَـاءَهَـا
وَتَكُـبُّ فِي نَـارِ القِرَى فَوْقَ الذُّرَى مِـنْ عِـزَّةٍ لُـوَّاتِـهَا وَكُبَـاءَهَا
قَدْ خَلَفُـوا الأَيَّامَ طِيـبَ خَـلائِقٍ فَثَنَتْ إِلَيْهِمْ حَمْـدَهَـا وَثَنَـاءَهَا

[1]– **ابن الأبّار**: الديوان، ص: 39.

يُنْضُونَ فِي طَلَبِ النَّفَائِسِ أَنْفُسًا حَبَسُوا عَلَى إِحْرَازِهَا أَنْضَاءَهَا
وَإِذَا انْتَضَوْا يَوْمَ الكَرِيهَةِ بَيْضَهُمْ أَبْصَرْتَ فِيهِمْ قَطْعَهَا وَمَضَاءَهَا
لا عُذْرَ عِنْدَ المُكْرِمَاتِ لَهُمْ مَتَى لَمْ تَسْتَبِنْ لِعُفَاتِهِمْ عَذْرَاءَهَا
قَوْمُ الأَمِيرِ فَمَنْ يَقُومُ بِمَا لَهُمْ مِنْ صَالِحَاتٍ أَفْحَمَتْ شُعَرَاءَهَا
صَفْحًا جَمِيلاً أَيُّهَا المَلِكُ الرَّضِيُ عَنْ مُحْكَمَاتٍ لَمْ نُطِقْ إِحْصَاءَهَا
تَقِفُ القَوَافِي دُونَهُنَّ حَسِيرَةً لا عِيَّهَا تُخْفِي وَلا إِعْيَاءَهَا
فَلَعَلَّ عَلْيَاكُمْ تُسَامِحُ رَاجِيًا إِصْغَاءَهَا وَمُؤَمِّلًا إِغْضَاءَهَا[1]

في هذه الأبيات مدح الشاعر ملك تونس على تلبية النداء، وعلى نصرة إخوانه واصفا إياه بأنه مثل الغيث سقى الأرض وجاء على أهلها، فعم الخير البلاد وليس هذا بجديد على الملك، فقد وصفهم بأنهم فئة لا تكف عن الحرب، حتى يهزمون أعدائهم، وقد أثنت عليهم الأندلس، وبالطبع أهل الأندلس بالحمد والثناء.

وفي الأخير طلب من الملك الصفح إن هو لم يوفيه حقه من المدح والثناء، بحيث أن صالحات الأمير أفحمت الشعراء فلم يستطيعوا تعدادها، وأن القوافي تقف عاجزة عن ذكر خصاله، وهي عادة الشعراء عندما يمدحون الملوك والأمراء، فيلمسون منهم العذر عن التقصير في ذكر مناقبهم ومحاسنهم.

### 1- استغاثة ابن الأحمر بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني:

كثرت إغارات الصلبيين عل المسلمين في الأندلس ، فكثر شعر شعر الاستغاثة من الشعر عسى أن يجدوا في ملوك المغرب وتونس والجزائر حمية الأخوة والإسلام فيهبوا إلى نجدتهم،" وكان لتخاذل المسلمين وتودد أعقاب ابن هود وابن مردنيش لملوك النصارى قد دعا محمد بن الأمر إلى مهادنتهم ، ونزل لهم عن بلاد (الغرنتيرة) وكانت هذه المدة بحسب قول ابن خلدون فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهبا في الحروب ووضعية ومدارة في السلم ، والتزم ابن الأحمر بما ضايقه من

[1]- **ابن الأبّار**: الديوان، ص: 40-41

تكالب العدو على بلاد المسلمين ، ومظاهرة بعض أمرائهم له على الاستيلاء ، أن يلجأ بالمسلمين إلى جوار غرناطة وسيف البحر معتصمين بالحبال وراكنين إلى أوعارها".[1]

هذا الوضع دفع بابن الأحمر إلى الاستنجاد بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بنجدة الأندلس، "فأوفد ابن الأحمر مشيخة بلادة على يعقوب بن عبد الحق المريني فلقوه منصرفا من فتح سلجمانة خاتم الفتوح بالبلاد المغربية فنبهوا عزائمه واستنفروا حميته وكان من نفسه من ذلك ارتياح، فجهز خمسة آلاف عقد عليهم لابنه منديل، وأعطاه الراية واستدعى الأسطول فأجازوا بطريق فاكتسحوا بسائطها، وأثخنوا فيها بالقتل والأسر والتخريب".[2]

ومما قاله ابن الأحمر في قصيدته:

هَـــلْ مِنْ مُعِينٍ فِي الهَوَى أَوْ مُنْجِدِ ... مِنْ مُتَّهَمٍ فِـي الأَرْضِ أَوْ مِـنْ مُنْجِدِ
هَذَا الهَوَى دَاعٍ، فَهَـلْ مِـنْ مُسْعِفٍ ... بِـــإِجَابَةٍ وَإِنَـــابَةٍ أَوْ مُسْـــعِدِ
هَذِي سَبِيلُ الرَّشْدِ قَدْ وَضَحَـتْ فَهَلْ ... بِـــالعُدْوَتَيْـــنِ مِـنْ امرِئٍ مُسْتَرْشِدِ
يَرْجُو النَّجَـاةَ بِجَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ، أَوْ ... يَخْـشَى المَصِيرَ إِلَى الجَـحِيمِ المُوقِدِ
يَا آمِلَ النَّصْـرِ العَـزِيزِ عَلَـى العِدَى ... أَجِـبْ الهُـدَى، تَسْـعَدْ بِهِ وَتُـؤَيَّدُ
يَـــا مَـنْ يَقُـولُ غَدًا أَتُوبُ وَلا غَدٌ ... أَلَدَيْـــكَ عِلْـــمٌ أَنْ تَعِيـــشَ إِلَى غَدِ
لا تَـــغْتَرَّ بِنَسِيئَـــةِ الأَجَـــلِ الَّذِي ... إِنْ لَـمْ يَحُـنْ لَكَ نَقْدُهُ، فَكَـأَنْ قَدِ
أَوَ مَـــا عَلِمْـــتَ بِأَنَّهُ لابُـــدَّ مِـنْ ... زَادٍ لِكُـــلِ مُسَـــافِرٍ فَتَـــزَوَّدِ
هَـذَا الجِهَـادُ رَئِيـسُ أَعْمَـالِ التُّقَى ... خُـذْ مِنْـهُ زَادَكَ لارْتِحَـالِكَ تَسْعَدِ[3]

ومنها:

كَـــمْ جَـامِعٍ فِيهَـا، أُعِيدَ كَنِيسَةً ... فَـــاهْلَكْ عَلَـيْهِ أَسًى وَلا تَتَجَلَّدِ
أَسَـفًا عَلَيْـهَا أَقْفَرَتْ صَلَـوَاتُـهَا ... مِـــنْ قَـانِتِينِ وَرَاكِـعِينَ وَسُـجَّدِ
كَـــمْ مِـــنْ أَسِيرٍ عِنْـــدَهُمْ وَأَسِيرَةٍ ... فَكِـــلاهُمَا يَبْغِي الفِدَاءَ فَمَـا فُدِي

---

[1]– **الأمير شكيب أرسلان**: خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1403هـ-1983م، ص: 77.

[2]– المرجع نفسه: ص: 79.

[3]– المرجع نفسه: ص: 81.

كَـــمْ مِـــنْ عَقِيـــلَةِ مَعْشَرٍ مَعْقُولَةٍ فِيـــهِمْ تَـــوَدُّ لَـــوْ أَنَّـــهَا فِي مَلْحَدِ
كَـــمْ مِـــنْ وَلِيدٍ بَيْنَهُمْ قَدْ وَدَّ مِنْ وَلَـــــــدَاهُ وِدًّا أَنَّـــهُ لَـــمْ يُولَـــدِ
كَـــمْ مِـــنْ تَقِيٍّ بِالسَّلاسِـلِ مُوَثَّقٍ يَبْكِـــي لآخَرَ فِي الكُبُـــولِ مُقَـــيَّدِ
وَشَهِيـــــدٍ مُعْـــتَرَكٍ تَـــوَزَّعَهُ الـــرَّدَى مَـــا بَيْنَ حَـــدَّيْ ذَابِـــلٍ وَمُهَـــنَّدِ
ضَجَّـــتْ مَلائِكَةُ السَّمَـــاءِ لِحَـــالِهِمْ وَبَكَـــى لَـــهُمْ مِـــنْ قَلْبِهِ كَالـــجَلْمَدِ
أَفَـــلا تَـــذُوبُ قُلُـــوبُكُمْ إِخْـــوَانَنَا مِمَّا دَهَـــانَا مِـــنْ رَدَى أَوْ مِـــنْ رَدِي
أَفَـــلا تُـــرَاعُونَ الأَزِمَّـــةَ بَيْنَـــنَا مِـــنْ حُـــرْمَةٍ وَمَـــحَبَّةٍ وَتَـــوَدُّدِ
أَكَـــذَا يَعِيـــثُ الرُّومُ فِـي إِخْـــوَانِكُمْ وَسُيُوفُـــكُمْ للثَّـــأْرِ لَـــمْ تَتَقَـــلَّدِ
أَيْـــنَ العَزَائِمُ مَـــالَهَا لا تَقْتَضِـــي هَـــلْ يَقْـــطَعُ الهِنْـــدِيُّ غَيْرَ مُجَرَّدِ
أَبَـــنِي مَـــرِينَ أَنْتُـــمْ جِيـــرَانُنَا وَأَحَـــقَّ مَـــنْ فِي صَرْخَةٍ بِهِمْ ابْتُدِي
فَالجَارُ كَـــانَ بِهِ يُوصِـي المُـصْطَفَى جِبْرِيلُ حَـقًّا فِي الصَّـحِيحِ المُـسْنَدِ[1]

نلاحظ أن الشاعر يوظف عبارات وألفاظ لها وقعها في النفوس، وتبعث فيها حمية الأخوة مثل قوله: "كم من جامع أعيد كنسية"، وهو دليل على أن الصلبيين قد عاثوا في الأندلس فسادا حتى حولوا مساجدها إلى كنائس ، فأصبحت فارغة من المصلين والقانتين، كما نبه الملك على ان الأعداء قد أسروا المسلمين فلم يفرقوا بين رجل وامرأة أو صبي، فأصبحوا كلهم مقيدون في السلاسل ، كما وظف عبارات دينية للحث على الجهاد والانتقام للمسلمين مثل قوله: "ضجت ملائكة السماء لحالهم"، وقوله: "فالجار كان يوصي به المصطفى"، حيث وظف الحديث الشريف ليكون وقعه شديدا على نفس السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ، حتى لا يتوانى في نصرة إخوانه في الأندلس.

وأضاف يقول:

وَارْضَـوْا بِإِحْـدَى الحُـسْنَيَيْنِ وَأَقْرِضُوا حَسَـــنًا تَفُـــوزُوا بِالحِـــسَانِ الخُرَّدِ
هَذِي الجِـــنَانُ تَفَتَّـــحَتْ أَبْوَابُـــهَا وَالحُـورُ قَـاعِدَةٌ لَـــكُمْ بِالـــمِرْصَدِ
للهِ فِـــي نَصِـــرِ الخَلِيفَـــةِ مَـــوْعِدٌ صَـدَقَ فَثُـــورُوا لانْتِجَـــازِ المَـوْعِدِ

[1]– **الأمير شكيب أرسلان:** خلاصة تاريخ الأندلس، ص: 82.

– الصحيح المسند: إشارة إلى الحديث الشريف {ظل جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورث}، ينظر المرجع نفسه، ص: 82.

هَـذِي الثُّغُورُ بِكُمْ إِلَيْكُمْ تَشْتَـكِي شَكْـوَى العَدِيـمِ إِلَـى الغَنِيِّ الأَوْجَدِ
مَـا بَالُ شَمْـلُ المُسْلِمِـينَ مُبَدَّدٌ فِيهَا وَشَمْـلُ الضِّـدِّ غَيْـرَ مُبَـدَّدِ
أَنْتُـمْ جُيُـوشُ اللهِ مِـلْءُ فَضَـائِهِ تَأْسُـونَ للـدِّينِ الغَـرِيبِ المُفْـرَدِ
مَـاذَا اعْتِـذَارُكُمُ غَـدًا لِنَبِيِّـكُمْ وَطَـرِيقُ هَـذَا العُذْرِ غَيْـرَ مُمَـهَّدِ
إِنْ قَـالَ لِـمَ فَـرَّطْتُمُ فِي أُمَّـتِي وَتَـرَكْتُمُـوهُمْ لِلْعَـدُوِّ المُعْتَـدِي
تَاللهِ لَـوْ أَنَّ العُقُـوبَةَ لَـمْ تُخَـفَ لَكَـفَى الحَيَـاةَ مِـنْ وَجْـهِ ذَاكَ السَّيِّدِ
إِخْـوَانُنَا صَلُّـوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُـوا وَسَلُـوا الشَّفَـاعَةَ مِنْهُ يَوْمَ المَشْهَدِ
وَاسْعَوْا لِنُصْـرَةِ دِينِـهِ يَسْقِيـكُمُ مِنْ حَوضِهِ فِي الحَشْرِ أَعْذَبَ مَـوْرِدِ[1]

فالشاعر هنا "يستصرخهم باسم الجوار وهم أول من يبتدأ به لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالجار كما ورد في الحديث الصحيح، ويناشد المرنيين قاطبة، وسينال المجاهد إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، ويرغبهم بثواب الجهاد وهو الجنة التي يجد فيها الإنسان ما تشتهي نفسه، وذكر الحور زيادة في ترغيبهم وتشويقهم، وربما يقصد الشاعر أيضا بالخرد والحور هنا السبايا من النصرانيات اللاتي سيقعن في أيديهم من غنائم المعركة وه مكاسب دنيوية.[2]

هذا الحث على الجهاد، وإعلام ملوك المغرب العربي بما يتعرض له إخوانهم في الأندلس من قتل وسبي وتعذيب، وتقييد بالسلاسل يكون له وقع كبير في نفوس الملوك، ويحملهم على تحمل مسؤولياتهم أمام الله، وأمام واجب الأخوة الإسلامية وتجهيز الجيوش لنصرتهم والدفاع عنهم، وقد وظف الشعراء أساليب فعل الأمر للدلالة على أن الخطب صعب، والأمر لا يقبل التريث، بل يجب أخذ الأمر بجدية والتجهز فورا لتلبية النداء، كما يستعملون أساليب الاستفهام ليعلمون الملوك وكأن الأمر لا يعنيهم، أولا يعلمون بما يحدث لهم.

[1]– **الأمير شكيب أرسلان**: خلاصة تاريخ الأندلس، ص: 83.

[2]– **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 68.

**2- قصيدة أبو موسى هارون بن هارون إلى المعتضد بالله السعيد:**

لما حاصر الصليبيون إشبيلية سنة ستمائة وخمس وأربعين للهجرة ناشد أبو موسى هارون بن هارون المعتضد بالله السعيد لنصرتهم حيث "لما انتهى بإشبيلية شدة الحصار، وعدموا الأنصار والأمصار، وصاروا قبضة في يد أعداء الله الكفار، خاطبوا أمير المؤمنين المعتضد بالله السعيد وكافة المسلمين من أهل عدوة الغرب يستصرخونهم ويعرفونهم بما نالهم من الجهد العظيم والكرب الشديد الأليم، ويرغبونهم في نصرتهم، ويحضونهم على جهاد أعداء الله الكافرين".[1]

يقول أبو موسى في قصيدته مستنجدا بالمعتضد وكافة المسلمين:

يَا حِمْصُ أَقْصَدَكِ المَقْدُورُ حِينَ رَمَى ... لَـمْ يَـرْعَ فِيـكِ الرِّدَى إلا وَلا ذِمَمَا
جَرَتْ عَلَيْـكِ يَدٌ لِلـدَّهْرِ ظَـالِمَةٌ ... لا يَعْـدِلُ الدَّهْرُ فِي شَيْءٍ إِذَا حَكَـمَا
مَـا كُنْتُ أَحْسَـبُ أَنَّ الحَـادِثَاتِ إِذَا ... هَـمَّتْ بِكِ السُّوءَ لا تُلْقِي لَكِ السَّلَـمَا
وَلا تَوَهَّمْـتُ ذَاكَ الحُسْنَ يَطْمِـسُهُ ... رَيْـبُ الزَّمَـانِ وَيَكْـسُو نُورَهُ الظُّلَمَا
قَدْ كَـانَ حُسْنِكِ فَتَّانَ الشَّبَابِ فَمُذْ ... أُصِبْتِ عُوِّضْـتِ مِنْهُ القُبْحَ وَالهَـرَمَا
يَـا جَنَّةً زَحْزَحَتْنَا عَـنْ زَخَـارِفِهَا ... ذُنُوبُـنَا فَلَـزِمْنَا البَـثَّ وَالنَّـدَمَا
يَا سَائِلِي عَنْ مَصَـابِ المُسْلِمِينَ بِهَا ... أَصِـخْ لِنَسْـمَعَ أَمْرًا يُورِثُ الصَّمَمَا
لَـمَّا تَفَرَّقَتْ الأَهْـوَاءُ وَاضِطَرَمَتْ ... نَارُ البُغَاةِ فَقَـامَتْ للرِّدَى عَلَـمَا
وَنُوزِعَ الأَمْـرُ أَهْـلُوهُ وَقَـامَ بِـهِ ... مَـنْ لَمْ يَجِـدْ قَدَمًا فِيهِ وَلا قَدَمَـا
ثَـارَتْ حَفَائِظُ للتَّثْلِيـثِ فَابْتَدَرُوا ... وَأَيْقَظُوا مِـنْ سِنَاتِ الغَفْلَةِ الهِـمَمَا
وَأَنْشَـرُوا مَيِّتَ الأَحْقَـادِ بَيْنَـهُمْ ... وَلَـوْ أَطَاقُوا لَعَـمْرِي أَنْشَـرُوا الرِّمَمَا
وَيَمَّـمُوا حِمْصَ فِي جَمْعٍ يَضِيقُ بِهِ ... ذِرْعُ الفَضَـاءِ فَسَوَّى الوَهْدَ وَالأَكَـمَا[2]

هنا الشاعر يصف كيف أثار الأعداء أحقاد الماضي وعاثوا في اشبيلية فسادا بعدما كان حسنها فتان، وكيف أصبح أمرها في يد غير أهلها، ولو يقدرون لعاثوا في رفاة المسلمين فسادا.

[1]- **أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري**: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ-2013م، ج3، ص: 515.

[2]- المرجع نفسه: ص: 515.

ويضيف الشاعر في وصف المشهد المريع لما حل بالمسلمين قائلا:

فَكَمْ أُسَارَى غَـدَتْ فِي القَيْـدِ مُوَثَّقَةً تَشْكُو مِنَ الذُّلِّ أَقْدَامًا لَـهَا حُطَـمَا
وَكَـمْ صَرِيـعٍ رَضِيـعٍ ظَـلَّ مُخْتَطِفًا عَـنْ أُمِّهِ فَهُـوَ بِالأَمْـوَاجِ قَدْ فُطِـمَا
يَدْعُـو الوَلِيـدُ أَبَـاهُ وَهُوَ فِي شُغُلٍ عَـنِ الجَوَابِ بِدَمْـعٍ سَالٍ وَانْسَجَمَا
فَكَـمْ تَرَى وَالِـهًا فِيـهَا وَوَالِهَةً لا يَرْجِـعُ الطَّـرْفَ إِنْ حَاوَرْتَهُ الكَلِمَا
لَهْـفِي عَلَيْهِمْ وَمَـا لَهْـفِي بِـمَغْنِيَةٍ عَمَّـنْ تَبَـدَّلَ بَعْـدَ النِّعْمَةِ النِّقَمَـا
إِنَّا إِلَـى اللهِ قَدْ حَـلَّ المُصَابُ وَمَـا مِنْ حِيلَـةٍ فِي الَّذِي أَمْضَـى وَمَا حَتَمَا
فِي كُلِّ حِينٍ تَرَى صَـرْعَى مُجَـدَّلَـةً وَآخَرِينَ أُسَـارَى خَطْبُـهُمْ عَظُـمَا
وَقَـدْ أَحَـاطَتْ بِنَا الأَعْدَاءُ فَاغِـرَةً أَفْوَاهَـهَا تَبْتَـغِي أَرْوَاحَـنَا طُعَـمَا
عَادَتْ سِوَارًا عَلَى سُـورِ المَـدِينَةِ قَدْ أَفْـنَاهُ عَضًّـا وَكَمْ مِنْ مِعْصَمٍ قَصَـمَا[1]

في هذه الأبيات يصف الشاعر للأمير المعتضد بالله السعيد الحالة التي آل إليها سكان إشبيلية من أسرو سبي واختطاف للرضع، وهل توجد حالة أسوأ من هذه حيث أصبح الأطفال يؤخذون سبايا ولا يستطيع آباؤهم استرجاعهم بسبب ضعفهم وعجزهم، ثم بعد وصف حال المسلمين يستغيث الشاعر بالأمير وبالمسلمين فيقول:

يَـا أَهْلَ وَادِي الحِـمَا بِالعُدْوَةِ انْتَعِشُوا هَـذَا الذَّمَاءُ فَقَدْ أَشْفَـى بِهِ سَقَـمَا
مَـاذَا يُبَطِّئُـكُمْ عَنَّا وَحَقَّ لَـكُمْ أَنْ تُبْصِـرُوا دَارَ قَـوْمٍ أَصْبَحَتْ رِمَمَا
وَحَقُّـنَا وَاجِبٌ فَـالدِّينُ يَجْمَعُـنَا مَـعَ الجِـوَارِ الَّذِي مَـا زَالَ مُنْتَظِـمَا
وَقَـدْ دَعَـوْنَا فَأَسْمَعْنَا عَلَـى كَثَبٍ بِمَـا قَدِ اسْتَنْفَـدَ القِرْطَاسَ وَالقَلَـمَا
فَـزَعْمُ أَذْفُونَشْ أَنَّ الحَصْـرَ يُهْلِكُـهَا وَاللهِ يَكْـذِبُ مَـا رَوَى وَمَا زَعَمَا
إِنْ تَنْصُـرُونَا فَـإِنَّا مُنْشِدُونَ لَـهُ لا يُرْغِـمُ اللهُ إِلا أَنْـفَ مَنْ رَغِـمَا
فَتْحُ الجَزِيرَةِ مِـمَّا سَـنَّ أَوَّلُـكُمْ فَلْتُثْبِتُوا لِلْهُـدَى فِي أَرْضِـنَا قَدَمَـا[2]
كُونُوا لَـهَا خَلَفًا مِنْـهُمْ وَإِنْ نَفُـذُوا وَلا تُبَالُـوا أَطَـالَ العَهْـدُ أَمْ قَدُمَـا
لا عُـذْرَ فِي تَرْكِـهَا لِلْكُفْرِ مُسَلَّمَةٍ إِنَّ الـزَّمَانَ وَأَنْتُـمْ فِيهِ مَا عَقِـمَا

[1]– **أبو العباس أحمد بن محمد العذاري**: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج 3، ص: 516.
[2]– المرجع نفسه: ص: 517.

كَمْ صَـــارِخٍ فَـــزِعَ كَانَ الصُّرَاخُ لَـــهُ قَـرْعُ الظَّنَـابِيبِ حَتَّى لَـمْ يَدَعْ أَلَـمَا
هَـــلْ مِنْ مُجِيبٍ لَدَاعِيـــنَا فَيُـــرْكِبَنَا فُـلْكَ النَّـــجَاةِ فَبَحْرُ الحَادِثَاتِ طَـمَا
لَـمْ يَبْقَ فِينَا سِوَى الأَنْفَـاسَ خَـافِتَةً فَكُـــلُّنَا فِي وُجُـودٍ يُشْـــبِهُ العَـدَمَا
كَـمْ نَسْتَغِيـثُ وَلا إِنْسَـانَ يُصْرِخُـنَا وَنَسْتَطِبُّ لِـدَاءٍ طَـالَ مَـا حُسِـمَا[1]

في هذه الأبيات يذكر الشاعر إخوانه المسلمين بصنيع أسلافهم الذين سنوا سنة نصرة إخوانهم المسلمين، وعليهم أن يقتدوا بهم سواء أطال العهد أم قدم، وينبههم بأنه لا وجود لعذر يمنعهم من نصرتهم وترك إشبيلية وتسليمها للكفار، وما داموا هم موجودين فالزمان ليس عقيما، بل يوجد فيه من يسمعهم ويلبي النداء.

ومنها قوله:

وَقَـــدْ شَقِينَا وَأُشْقِيـــنَا وَحُـــقَّ لَنَا بِمَا بِهِ الكُفْـرُ وَالإِسْـلامُ قَدْ نَعُـمَا
يَـــا حَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا لأَنْدَلُـسٍ مَهْمَا اسْتَطَالَ بِهَا التَّثْلِيـثُ وَاجْتَرَمَا
لَـــمْ يَبْـقَ لِلْحَقِّ فِي شَتَّى مَطَالِعِـهَا نُـورٌ فَأَصْبَـحَ لَيْـلُ الكُفْرِ مُرْتَكِـمَا
يَـا نَفْـسُ لا تَذْهَبِي لِلْحَادِثَاتِ أَسًى وَجَامِـلِي الصَّبْرَ وَارْضَيْ بِالَّذِي قُسِـمَا
وَإِنْ دَهَتْـــكِ مِنَ الأَحْـــدَاثِ دَاهِـيَةٌ دَهْـيَاءَ تَتْرُكُ وَجْـــهَ الدَّهْرِ مُبْتَسِـــمَا
فَالمَفْـــزَعُ اللهُ وَالذُّخْرُ العَتَـــادُ أَمِيـــ ـرُ المُؤْمِنِينَ وَحَسْـبِي فِي النَّجَاةِ هُـمَا
نِعْمَ المَـلاذُ وَنِعْمَ الذُّخْرُ قَدْ ضُمِنَـتْ نَجَـاةُ مَنْ بِهِمَا فِي الحَـادِثِ اعْتَصَمَا
مَـــنْ مُبْلِغٌ أَمْرَهُ إِنِّي شَقِيـــتُ بِـــمَا لَقِيتُ مِـنْ جُورِ دَهْرٍ طَـالَ مَا ظَلَمَا
خَلِيفَـــةُ اللهِ لَوْلا النَّأْيُ عَنْـــكَ لَـــمَا أَجَـــزْتَ بِي لِـــدَهْرٍ كَلَّ مَا حَكَمَا
وَكُنْـــتَ كَاشِفَ كَرْبٍ لا انْكِشَافَ لَهُ وَقُمْـتَ دُونِي مِنَ الأَعْـــدَاءِ مُنْتَقِـمَا
وَكُـــنْتَ تَشْفِي صُدُورَ الأَوْلِيَاءِ فَـــلا عَـــدُّو إِلّا بِـــمَا يُرْضِيهِ قَدْ وَقِـــمَا[2]
أَقْسَمْـــتُ فِي حَلِفِي بِـــاللهِ مُجتَهِدًا وَحَسْـــبُ ذِي حَلِفٍ بِرٌّ بِمَا قَسَـمَا
مَـــا السَّعْدُ وَاليُمْنُ إِلَّا خَادِمَانِ لَكُـمْ إِنَّ العَظِيـمَ لَمِنْ فَاتَ الوَرَى عَظُـمَا

[1]– **أبو العباس أحمد بن محمد العذاري**: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج3، ص: 517.
[2]– المرجع نفسه: ص:518.

فَـــلا مُبَالاةَ بِالأَيَّـــامِ إِنْ مَطَلَـــتْ فَرُبَّمَا ضَنَّ قَطْرُ السُّحُبِ ثُـــمَّ هَـــمَى

فَاصْـــدَعْ بْحَقِّـــكَ إِنَّ الدَّهْرَ مُمْتَثِلٌ فَـــرُبَّ دَهْرٍ عَبُـــوسٍ عَادَ مُبْتَسِـــمًا

لقد وظف الشاعر العبارات التي يكون لها وقع شديد في النفوس حتى يدركوا المحنة التي يتخبط فيها إخوانهم في الأندلس، "فالشاعر يذكر أهل العدوة بأن أجدادهم هم الذين دخلوا مع طارق بن زياد وفتحوا الأندلس وثبتوا فيها الدين ، وأسلافهم هبوا لنجدتهم حين سقطت طليطلة وكانوا وراء انتصار الزلاقة، وأسلاف أسلافهم عبروا مع بن علي وخاضعوا معارك مع النصارى وانتصروا فيها، يرجو الشاعر من أهل العدوة أن يعيدوا تلك الأمجاد، ويذكرهم بأنهم خير خلف لخير سلف، وعليهم ان يصبروا معهم مهما طال الحصار لأنه لا مبرر لترك إشبيلية للكفار، وكيف يعقل ذلك وأهل العدوة قريبون منهم".[1]

ويضيف الدكتور محمد سعيد محمد قائلا: " وقد أدت صيحات الشعراء ونداءاتهم دورها في عهد الموحدين فعبروا الأندلس وجاهدوا فيها، وكذلك عبر الحفصيون البحر وأنجدوا إخوتهم على الشاطئ الآخر، وكثر استنجاد شعراء الأندلس بالدولة المرينية أواخر القرن السابع (الهجري) وخلال القرن الثامن، ويظهر ذلك من خلال الأشعار الواردة في ديوان لسان الدين الخطيب، وإشعار ابن زمرك، وأبي عنان المريني.[2]

ولم يستسلم الشعراء الأندلسيون لما أصابهم من أعدائهم، بل راحوا ينظمون قصائدهم ويبعثون بها إلى ملوك المغرب العربي، حيث "لم ييأس الشعراء ولم تعرف نفوسهم للاستسلام معنى في ذلك الوضع، إنهم يتحملون مسؤولية بلادهم، وتقع على أكتافهم أمانة كبيرة في التعبير عن مجريات الأحداث في بلادهم، فهم يحسون بعمق الجرح، ولكن يجب أن يتجاوزوه ويتساموا فوق الأحزان والأوجاع.[3]

فالشعراء يعيشون أحداث مجتمعاتهم، ويعبرون عنها من خلال أشعارهم تعبيرا صادقا.

---

[1]– **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 65.

[2]– المرجع نفسه: ص: 66-68.

[3]– **رانية أحمد ابراهيم أبو لبدة**: شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007، ص: 82.

### 3- قصيدة ابن الأبّار في طلب النجدة من صاحب إفريقية:

بسط المرابطون سيطرتهم على الأندلس، وأصبحت الأندلس إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف، ثم خلفهم الموحدون "فأصبح الأندلس الإسلامي جزءا من إمبراطوريتهم الشاسعة، تمتد من طرابلس في الشرق إلى مشارف المحيط الأطلسي، ومن لشبونة إلى السنغال، وكان ذلك يلقي على كواهلهم أعباء ثقالا في الدفاع عن هذه الإمبراطورية المترامية، وكانت الأندلس من بين مقاطعاتهم أضعف الجبهات وأحفلها بالخطر، تماسكت بعد تضحيات كثيرة أيام خلفاء الموحدين الثلاثة الأوائل، ثم تداعت أيام الرابع منهم، محمد الناصر بن أبي يعقوب يوسف المنصور، الذي تولى الخلافة من 1199 إلى 1215م، وظهر هذا التداعي في صورة انهيار سريع بعد معركة العقاب".[1]

بعد معركة العقاب تقاسم ملوك الكاثوليك جيهات الأندلس، فقد أحتل (جاقمة في المصادر العربية) أي الفاتح جزر ميورقة ومنورقة وإبيسة، ثم اتجه بعدها إلى بلنسية فأحسن أميرها أبو جميل زيان أنه لم يستطيع الثبات والمقاومة وحده، فقرر إرسال سفارة إلى أبي زكريا الحفصي صاحب إفريقية، تونس حاليا، يطلب منه العون والنجدة، فأرسل ابن الأبّار (أبا عبد الله بن بكر القضاعي، ليقوم بهذه المهمة، نظرا لما يتمتع به من شاعرية وقدرة على التأثير في الملوك، لانه شاعر وأديب ومؤلف.[2]

يقول ابن الأبّار مستنجدا بأبي زكريا أن يعين إخوانه على النصر في معركتهم ضد أعدائهم:

أَدْرِكْ بِخَيْـلِكَ خَيْـلَ اللهِ أَنْدَلُـــسًا ... إِنَّ السَّبِيـلَ إِلَـى مَنْجَاتِـــهَا دَرَسَـا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ ... فَلَمْ يَزَلْ مِنْـكَ عِزُّ النَّـــصْرِ مُلْتَمَـسَا
يَـــا لِلْـــجَزِيرَةِ أَضْـــحَى أَهْلُهَا جَزَرًا ... لِلْحَادِثَـاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَـا تَعِـسَا[3]

"وبعد هذه المقدمة الصغيرة بدأ يقدم صورة لما يجري في أرض الأندلس بعامة: طوقت المصائب أهلها، وأحالت جدهم تعاسة، وتقاسم الروم عقائلها، وعرض لما يجري في بلنسية وقرطبة بخاصة، مما يميت كل غيور كمدا، لقد حل بها الشرك، ورحل عنها الإيمان، وحولت مساجدها إلى كنائس، وخلفت فيها

[1]- **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987، ص: 265.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 266.

[3]- المرجع نفسه: ص: 266.

دقات الأجراس نداء المؤذن، ولم تعد موضعا للعلم والمدارسة، وبكى حدائقها المورقة، ومرابعها النضرة، وأيامها الخوالي.[1]

يقول ابن الأبّار واصفا ما حل بالأندلس من ظلم وقهر، وكيف تحولت من حاضرة إسلامية يصدح فيها المؤذون بالآذان للصلاة، إلى مدينة شرك تقع فيها أجراس الكنائس:

تَـــقَاسَمَ الرُّومُ، لا نَالَتْ مَقَاسِمُـهُمْ ... إِلَّا عَقَائِلَـــهَا المَـــحْجُوبَةَ الأُنُـــسَا
وَفِـــي بَلَنْسِيَةٍ مِنْـــهَا وَقُرْطُـــــبَةٍ ... مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا
مَـــدَائِنٌ حَلَّـــهَا الإِشْرَاكُ مُبْتَسِـمًا ... جَذْلَانَ، وَارْتَـــحَلَ الإِيمَانُ مُبْتَئِـــسَا
يَـــا لِلْمَسَاجِدِ عَـــادَتْ لِلْعِدَا بَيْعًا ... وَلِلنِّـــدَاءِ غَدَا أَثْنَـــــاءَهَا جَـــرَسَا
لَهْـــفِي عَلَيْـــهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ فَائِتِهَا ... مَـــدَارِسًا لِلْمَثَـــانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا
كَـــانَتْ حَدَائِقَ لِلأَحْـــدَاقِ مُؤْنِقَةً ... فَصَـــوَّحَ النَّضْرُ مِنْ أَدْوَاحِهَا وَعَـسَا
فَـــأَيْنَ عَيْشٌ جَنَيْنَاهُ بِـــهَا خَضِـرًا ... وَأَيْـــنَ غُصْـــنٌ جَنَيْنَاهُ بِهَا سَلِسًا؟[2]

هذه الأبيات التي عدد فيها ما فعل الأعداء بالأندلس نبه فيها الأمير بما حل بها، حيث "جعلها تمهيدا لدعوة الأمير الحفصي إلى الإسراع في عونها، وأن يحيي بها معالم الإسلام التي طمسها الأعداء، كما أحيا دعوة في إفريقية، ونصر الحق فيها، وقام بأمر الله غير متردد، فقال:[3]

مَحَا مَحَاسِنَـــهَا طَاغٍ أُتِيـــحَ لَـــهَا ... مَـا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلَا نَعَـــسَا
وَرَجَّ أَرْجَـــاءَهَا لَـــمَّا أَحَـــاطَ بِهَا ... فَغَـــادَرَ الشُّـــمَّ مِنْ أَعْلامِهَا خُنُـسَا
خَـــلا لَهُ الجَوُّ فَامْتَدَّتْ يَـــــدَاهُ إِلَى ... إِدْرَاكِ مَـــا لَمْ تَطَأْ رِجْـــلاهُ مُـــخْتَلِسَا
وَأَكْـــثَرَ الزَّعْـــمَ بِالتَّثْلِيثِ مُنْفَـــرِدًا ... وَلَـــوْ رَأَى رَايَةَ التَّوْحِيـــــدِ مَا نَبَسَا
صِـــلْ حَبْلَهَا أَيُّهَا المَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا ... أَبْقَـــى المِرَاسُ لَـــهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسَا
وَأَحْـــيِ مَا طَمَسَتْ مِنْهُ العُدَاةُ كَمَا ... أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ المَهْدِيِّ مَا طُمِـسَا
أَيَّـــامَ سِرْتَ لِنَصْـــرِ الحَقِّ مُسْتَبِقًا ... وَبَتَّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الهَـــدْيِ مُقْتَبِـسَا

[1]– المرجع نفسه: ص: 267.

[2]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 267.

[3]– ينظر المرجع نفسه: ص: 267.

وَقُمْـــتَ فِيهَا بِأَمْـــرِ اللهِ مُنْتَصِـــرَا كَالصَّـــارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالعَارِضِ انْبَجَسَا
تَمْحُـو الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظُلَمٍ وَالصُّبْـحُ مَاحِيَـــةٌ أَنْوَارُهُ الغَلَـــسَا[1]
وَتَقْتَضِي المَـــلِكَ الجَبَّارَ مُهْـــجَتَهُ يَـــوْمَ الوَغَى جَهْرَةً لَا تَرْقُبُ الخُـــلَسَا
هَـــذِي وَسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِـــنْ كَثَبٍ وَأَنْـــتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِـــمَنْ يَئِـــسَا
وَافَتْـــكَ جَـــارِيَةً بِالنُّجْـــحِ رَاجِيَةً مِنْـــكَ الأَمِيرَ الرِّضَى وَالسَّيِّدَ النَّـــدِسَا
خَـــاضَتْ خُضَارَةَ يُعْلِيهَا وَيُخْفِضُـــهَا عُبَـــابُهُ فَتُعَـــــانِي اللَّيِنَ وَالشَّـــرِسَا
وَرُبَّـــــمَا سَبَحْتَ وَالرِّيحُ عَـــــاتِيَةٌ كَمَـــا طَلَبْتَ بِأَقْصَى شَدِّهِ الفَرَسَـــــا
تَـــؤُمُّ يَحْيَ بْنَ عَبْدِ الـــوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْـــصٍ مُقْبِلَةً مِنْ تُـــرْبِهِ القُـــدُسَا
مَـــــلِكٌ تَقَلَّدَتِ الأَمْلاكُ طَـــــاعَتَهُ دِينًـــا وَدُنْيَا فَغَشَّاهَا الرِّضَـــى لَبِـــسَا
"مِـــنْ كُلِّ غَادٍ عَلَى يُمْنَاهُ مُسْتَلِـــمًا وَكُـــلُّ صَادٍ إِلَـــى نُعْمَاهُ مُلْتَمِـــسَا
مُـــؤَيِّدٌ لَوْ رَمَى نَجْـــــمًا لَأَثْبَـــتَهُ وَلَـــوْ دَعَـــا أُفُقًا لَبَّى وَمَا احْتَسَـــبَا
تَـــاللهِ إِنَّ الَّـــذِي تُرْجَى السُّعُودُ لَـهُ مَـا جَالَ فِي خَلَـدٍ يَوْمًا وَلَا هَجَسَا[2]

ويضيف الشاعر قائلا:

إِمَـــارَةٌ يَحْمِلُ المِقْـــدَارُ رَايَتَـــهَا وَدَوْلَـــةٌ عِزُّهَا يَسْتَصْـــحِبُ القَعَـــسَا
يُبْدِي النَّهَـــارُ بِهَا مِنْ ضَوْئِهِ شَنَـــبَا وُيُطْلِـــعُ اللَّيْـــلُ مِنْ ظَلْمَـــائِهِ لَعَـــسَا
مَـــاضِي العَزِيمَـــةِ وَالأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ طَلْقُ المُحَيَّا وَوَجْهُ الـدَّهْرِ قَـــدْ عَبَـــسَا
كَـــأَنَّهُ البَـــدْرُ وَالعَلْيَـــاءُ هَـــالَتُهُ تَحُـــفُّ مِـــنْ حَوْلِهِ شُهْبُ القَنَا حَـرَسَا
تَـــدْبِيرُهُ وَسْـــعَ الدُّنْـــيَا وَمَا وَسْعَـــتْ وَعُـــرْفُ مَعْـــرُوفِهِ وَاسَى الـــوَرَى وَأَسَا
قَامَتْ عَلَى العَدْلِ وَالإِحْـسَانِ دَعْوَتُهُ وَأَنْشَـــرَتْ مِنْ وُجُودِ الجُودِ مَا رُمِـــسَا
مُبَـــارَكٌ هَـــدْيُهُ بَـــادٍ سَكِينَـــتُهُ مَـــا قَـــامَ إِلَّا إِلَـى حُسْنَى وَلَا جَلَـــسَا
قَـــدْ نَـــوَّرَ اللهُ بِـــالتَّقْوَى بَصِيـرَتَهُ فَمَـــا يُبَالِي طُـرُوقَ الخَـــطْبِ مُلْتَبِسَا[3]

[1]– **ابن الأبّار**: الديوان، ص: 409-410.
[2]– **ابن الأبّار**: الديوان، ص: 410.
[3]– المصدر نفسه: ص: 411.

ويختم الشاعر قصيدته بأبيات ينادي من خلالها الأمير بانه أهل لنجدتها، "ففي إقدامه حياة للأندلس، وأن يرسل لها الجيوش ويطهرها من الشرك، ويقتص من ملوكها "الصفر" ويومئ إليه أن تكون الجبهة الشرقية في الأندلس مقصد عونه".[1]

ومعروف عن الملوك أنهم حين يمدحون، ويستغاثون، لا يتوانون في نصرة مستغيثهم، فيقول في آخر قصيدته:

يَـا أَيُّـهَا المَلِكُ المَنْصُورُ أَنْتَ لَـهَا ... عَلْيَـاءُ تُـوسِعُ أَعْدَاءَ الهُدَى تَعَـسَا
وَقَـدْ تَوَاتَـرَتِ الأَنْبَاءُ أَنَّـكَ مَنْ ... يُـحْيِي بِقَتْلِ مُلُوكِ الصُّفْرِ أَنْدَلُـسَا
طَهِّـرْ بِـلادَكَ مِنْهُمْ إِنَّهُـمْ نَجَسٌ ... وَلَا طَهَـارَةَ مَـا لَمْ تَغْسِلَ النَّجَـسَا
وَأَوْطِـئِ الفَيْلَـقَ الجَرَّارَ أَرْضَـهُمُ ... حَـتَّى يُطَأْطِئَ رَأْسًـا كُلُّ مَنْ رَأْسَـا
وَانْصُـرْ عَبِيدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَـرِقَتْ ... عُيُـونُهُمْ أَدْمُـعًا تَهْـمِي زَكًا وَخَـسَا
هُمْ شِيعَةُ الأَمْرِ وَهِي الدَّارُ قَدْ نُهِكَتْ ... دَاءً وَمَـا لَمْ تُبَـاشِرْ حَسْـمَهُ انْتَـكَسَا
فَامْـلأْ هَنِيـئًا لَكَ التَّمْكِينُ سَاحَتَهَا ... جُـرْدًا سَلاهِبَ أَوْ خَطِـيَّةً دُعُـسَا
وَاضِرِبْ لَـهَا مَوْعِـدًا بِالفَتْحِ تَـرْقُبُهُ ... لَعَلَّ يَوْمَ الأَعَادِي قَـدْ أَتَـى وَعَسَى[2]

نلاحظ أن الشاعر أكثر في هذه الأبيات الأخيرة من أفعال الأمر، لأن الأمر لا يستوجب التراخي أو التردد، بل يستوجب التعجيل في تجهيز الجيوش، والسير إلى الأندلس، لأن ما يعانيه أهلها قد بلغ مرحلة لا يتحملون فيها الصبر على الأذى والقهر والذل والهوان المسلط عليهم من قبل أعداء الإسلام، "فقد هزت قصيدة ابن الأبّار من الأمير عطفه، وحركت جناته، ولشغفه بها وموقعها من نفسه أمر شعراءه بمجاوبتها، وحقق ابن الأبّار هدفه من إنشادها، فقد تحمس الأمير الحفصي لمعاونة شركائه في الدين، فأرسل إلى بلنسية أسطولا مشحونا بالمال والعتاد والأقوات، ووصل الأسطول أثناء حصار المدينة، فحاول النزول في (جراو)، موضع قريب من بلنسية في الرابع من محرم عام 636هـ=18 من أغسطس 1238م".[3]

[1]– **الطاهر أحمد المكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 268.

[2]– **ابن الأبّار**: الديوان، ص: 412.

[3]– **الطاهر أحمد المكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 269.

غير أن المسلمين في هذه الفترة أصابهم من الضعف والتفكك وتفرق للصفوف ما جعلهم ضعفاء عاجزين عن مقارعة الأعداء، واسترداد أراضيهم منهم، لأن الأعداء استغلوا تناحرهم فيما بينهم، وأصبحوا يستولون على مدن الأندلس الواحدة تلوى الأخرى، حيث "لم تكد أساطيل الأمير الحفصي تصل للنجدة حتى كان الطاغية ملك برشلونة قد تغلب على بلنسية وأخذها صلحا سنة 637هـ، وحال بينها وبين أساطيل السلطان تونس".[1] ورغم ضياع بلنسية بقي شعراء الأندلس يستنهضون عزائم وهمم المسلمين لاسترداد الأندلس إلى حضن المسلمين.

**4- قصيدة مجهول صاحبها يستنجد صاحبها بالسلطان العثماني بايزيد:**

نقل الدكتور الطاهر أحمد المكي قصيدة يستنجد فيها صاحبها بالسلطان العثماني بايزيد، فقد قال الدكتور في وصف هذه القصيدة :"كان الباحث الجزائري الدكتور محمد صوالح أول من وقعت عينه على محفوظة هذه المرثية، في مطلع هذا القرن، فنشرها في المجلة الإفريقية " La Revue Africaine" عام 1914، ثم ترجمها إلى اللغة الفرنسية، وقدم لها بترجمة فرنسية أيضا، ولم يهتد إلى قائلها، فحاول أن يشرك معه بقية أدباء العالم العربي في شمال أفريقيا، وبعضا من المستشرقين، فكتب إليهم في الجزائر وتلمسان وفاس والرباط وتونس وإسبانيا، يطلب منهم العون في التعرف على قائلها، لكن أحدا منهم لم يقدم له جوابا شافيا".[2]

ثم أضاف الدكتور الطاهر أحمد مكي يقول: "وبعد ذلك بثلاثة وعشرين عاما أرسل الأديب المغربي عبد الرحمان حجي القصيدة إلى مجلة الرسالة فنشرتها في عددها رقم 131 السنة الرابعة، بتاريخ 11 من شوال 1354، 6 من يناير1936، الصفحات 22-24، وقدم لها بهذه الفقرة :" قصيدة بليغة من الأدب الأندلسي الرائع، تصف أحسن وصف المأساة الأندلسية، لم نعثر على قائلها، وقد طبعها لأول مرة على ما يظهر الأستاذ الدكتور صوالح محمد بالجزائر سنة 1914م مع ترجمة فرنسية، وبعض تعليقات بالفرنسية، ذكر فيها أن هذه القصيدة من جملة قصائد بعثت إلى السلطان بايزيد

[1]- **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 418.

[2]- **الطاهر أحمد المكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 325.

العثماني بقصد الاستغاثة، وأشار إلى أن صحيفة الزهرة التونسية نشرت نتفا منها منذ سنوات، وطلبت من الأدباء أن يعلنوا عن صاحبها إذا عرفوه، ولكن لم يجب الصحيفة أحد، فبقي مجهولا".[1]

وهذا دليل على أن الكتاب الجزائريين كانوا يهتمون بالأدب الأندلسي رغم ظروف الاستعمار الفرنسي الذي كان يحارب كل أشكال الأدب والثقافة على المجتمع الجزائري، ويضيف الدكتور الطاهر مكي: "توجد هذه المخطوطة في مكتبة الجزائر الوطنية تحت رقم 1627، وتتألف من ثماني رقات طولها 20سم، وعرضها 15سم، والصفحة الأولى منها بيضاء، وبقية الصفحات مكتوبة، وفي كل صفحة عشرة أبيات، ما عدا الثانية فتضم تسعة، والأخيرة وتحتوي على خمسة أبيات فحسب، أي مجموع أبيات القصيدة مئة وأربعة وأربعون، وكتبت بحبر أسمر اللون.[2]

ويبدو أن الحبر الذي كتبت به هذه المخطوطة هو نفس الحبر الذي كان يكتب به الطلبة في الزوايا والكتاتيب، الذي كان يصنع من الصوف بعد حرقه حيث قال: "ويصنع من الصوف المحروق والماء، وخطها مغربي، وأسماء المدن، واسم الله والنبي، والألفاظ الدينية وصيغ التعجب مكتوبة بحروف أكبر، وأضاف الناسخ بحبر أحمر بعض التعليقات المفيدة والمختصرة".[3]

ويظهر من كلام الدكتور الطاهر أحمد مكي أن هذه القصيدة ليست أصلية، بل هي منسوخة، وذلك من خلال قوله:" والمخطوطة ليست أصلا، ولكنها نسخت عن أم لا نعرف عنها شيئا، وتاريخ نسخها "يوم الأحد في العشر الثاني من شهر شعبان سنة 897هـ، 10 يونيو 1492م".[4]

يقول الشاعر في هذه القصيدة:

أَحَـــقًّا خَبَـــا مِنْ جَوِّ رَنْـــدَةَ نُورُهَا وَقَـــدْ كَسَفَـتْ بَعْدَ الشُّمُوسْ بُدُورُهَـــا
وَقَدْ أَظْلَمَـتْ أَرْجَـــاؤُهَـــا وَتَزَلْزَلَـــتْ مَنَازِهُـــهَا ذَاتَ العُـــلا وَقُصُـــورُهَـــا
أَحَـــقًّا خَلِيلِـــي أَنَّ رَنْـــدَةَ أَقْفَـرَتْ وَأُزْعِجَ عَنْهَـــا أَهْـــلُهَا وَعَـــشِيرُهَا
وَهُـــدَّتْ مَبَانِيـــهَا وَثُلَّتْ عُرُوشُـهَا وَدَارَتْ عَلَـــى قُطْـــبِ التَّفَرُقِ دُورُهَـــا

[1]– المرجع نفسه، ص: 325-326.
[2]– المرجع نفسه، ص: 328.
[3]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 328.
[4]– المرجع نفسه: ص: 328.

وَكَـــانَتْ عُقَـــابًا لَا يَنَالُ مَـــطَارُهَا وَمَعْقَـــلُ عِزٍّ زَاحَـــمَ النِّسْرُ صُورُهَـــا
هَـــوَتْ رَنْدَةُ الغَرَّاءُ، ثُمَّ حُصُـــونُهَا وَأَنْظَـــارُهَا شَنْعَـــــاءُ، عَزَّ نَظِيـرُهَا
وَقَـــدْ كُنَّ عِقْدًا زَيَّنَ القُطْرُ نَظْمُـــهَا فَقَـــدْ فَتَحَ الآنَ البِـــــلادَ نَثِيـــرُهَا
وَفَـــرَّقَ شَمْـــــلَ المُؤْمِنِينَ لَهِيبُـــهَا وَقَطَّـــعَ مِنْ أَرْحَـــامِهِمْ زَمْهَـــرْيرُهَا
تَسَلَّمَـــهَا حِزْبُ الصَّلِيـــبِ وَقَـــادَهَا وَكَـــانَتْ شُرُودًا لَا يُقَـــادُ نُفُورُهَـــا
وَقَـــــدْ ذَهَبَتْ أَدْيَانُهَا وَنُفُوسُـــــهَا وَقَـــدْ دَثَرَتْ تَحْتَ السِّبَـــاءِ دُثُورُهَـــا
فَبَـــادَ بِهَا الإِسْـــــلَامُ حَتَّى تَقَطَّعَتْ مَنَاسِبُـــــهَا وَاسْتَأْصَلَ الحَـــقُّ زُورُهَا
وَأَصْبَحَـــتْ الصُّلْبَانُ قَدْ عُبِدَتْ بِهَـــا تَمَاثِيلُـــــهَا دُونَ الإِلَهِ وُصُـــــورُهَا
لِقَـــــرْعِ النَوَاقِيسِ اعْتَلَى بِمَنَارِهَـــا كُـــرَاثُهُ أَصْـــــوَاتٍ يَرُوعُ صَـــرِيرُهَا
فَيَا سَاكِنِي تِلْـــكَ الـــدِّيَارُ كَرِيمَـــةً سَقَى عَهْـــدُكُمْ مُزْنٌ يُصَـوِّبُ نَمِيرُهَا
أَحَـــقًّا أَخِـــلَّائِي القَضَـــاءُ آبَادَكُمْ وَدَارَتْ عَلَيْـــكُمْ بِالصُّرُوفِ دُهُـــورُهَا
قَتْلٌ وَأَسْـــرٌ لَا يُفَـــــادَى وَفُـــرْقَةٌ لَدَى عَـــرَصَاتٍ الحَـشْرِ يَأْتِي سَفِيرُهَا
لَعَمْـــرِ الهُدَى مَا بِالحَشَـــا لِفِرَاقِكُمْ سِـوَى حُرَقٍ سُحْمٍ تَلَـظَّى سَمِـيرُهَا
وَلَوْعَةُ ثُكْلٍ لَيْـسَ يُذْهِـــبُ رَوْعُـــهَا وَلَا تَنْقَضِـــي أَشْجَـــانُهَا وَزَفِيرُهَـــا
وَنَفْـــسٌ عَلَى هَذَا المُصَابِ حَـزِينَةٌ يَذُوبُ كَـمَا ذَابَ الرَّصَـاصُ صُبُورُهَا
فَـــوَاحَسْرَتَاكُمْ مِنْ مَسَاجِدَ حُـوِّلَتْ وَكَـــانَتْ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ شُطُـورُهَا
وَوَأَسَفَاكُمْ مِـــنْ صَوَامِعَ أُوْحِـــشَتْ وَقَـــدْ كَـانَ مُعْتَـــادُ الآذَانِ يَـــزُورُهَا
فَمِحْرَابُهَا يَشْكُو لِـــمِنْبَرِهَا الجَـــوَى وَآيَـــاتُهَا تَشْـــكُو الفِـــرَاقَ وَسُـورُهَا
وَكَـــمْ مِنْ لِسَـانٍ كَانَ فِيهَـــا مُرَتِّلٌ وَحَفْـلٍ بِخَتْمِ الذِّكْرِ تَمْضِـي شُهُورُهَا[1]

نلاحظ أن الشاعر قد بالغ في وصف الحالة التي آلت إليها رندة، وكيف تحولت مساجدها إلى كنائس، وأبدل فيها الأذان بأجراس الكنائس، فقد مضى الشاعر في التعبير عن أسفه لتعطيل الصلاة وشعائر الإسلام واستبدالها بشعائر المسيحية.[2] وهذا حتى يثير حمية المسلمين ليهبوا لنجدتهم وإنقاذ المدينة من ظلم الصلبيين والذود عن معالم الدين الإسلامي.

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 337-338.

[2]– ينظر **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 423.

ثم يضيف الشاعر في شكواه مما أصابهم يقول:

وَكَمْ مِنْ فَتَى ثَبْتِ الجَنَـــانِ مُهَـــذَّبٌ يَوَدُّ المَنَـــــايَا وَهُـــوَ كَـانَ يُدِيرُهَـا
يَصُـولُ عَلَى الأَبْطَالِ صَـــوْلَةَ ضَيْغَمٍ فَيُـــرْهِبُهُ شِبْـلُ الشَّرَى وَهُـــصُورُهَا
لَـــهُ فِـــي سَبِيلِ اللهِ خَيْـــرُ نَقِيبَـةٍ تُـــزَانُ لَهُ عَيْـــنُ الجِنَـانِ وَحُـورُهَا
لَـــهُ فِي جَنَابِ الكُفْرِ أَجْدَى نِكَايَةً وَشَعْـــوَاءُ غَـــارَاتٍ يُثَـابُ مُغِيـرُهَا
يُـــرَاعُ لَـــهُ دِيـــنُ الصَّلِيبِ وَحِـزْبُهُ وَيُجْـزَى بِـهَا غُنْصَـالُهَا وَرَمِيـــرُهَا
وَكَـــمْ أَنْفُـــسٍ كَانَتْ لَدَيْهِ أَسِيـرَةٌ فَـأَضْحَى لَعَمْرِ اللهِ وَهُـــوَ أَسِيـرُهَا[1]
تَحَكَّـمَ فِيـهِ الشِّـرْكُ وَهُـــوَ مُوَحِّـدٌ كَـمَا قَـدْ قَضَـى جَبَّـارُهَا وَنَذِيـرُهَا

في هذه الأبيات يشتكي الشاعر حال شباب رندة الذي كان يدير المنايا، فأصبح يتمناها، وكيف كان يصول ويجول في المعارك مثل شبل الأسد، وكم كانت عنده من أنفس أسيرة، فتبدلت حاله وأصبح أسيرا في يد أعدائه، وأصبح المشركون يتحكمون في مصيره.

ثم بدأ في وصف الحالة التي آلت إليها نساء المسلمين في الأندلس من سبي وهتك للأعراض حيث أخذت كرهائن في أيدي الكفار فقال:

وَكَـــمْ طِفْلَةٍ حَسْنَاءَ فِيـــهَا مَصُونَـــةٌ إِذَا سَفَـــرَتْ يَسْبِي العُقُـولَ سُفُـورُهَا
تَمِيلُ كَغُصْنِ البَانِ مَـــالَتْ بِهِ الصِّـبَا وَقَدْ زَانَـــهَا دِيبَـــاجُهَا وَحَـرِيرُهَـا
فَـــأَضْحَتْ بِـــأَيْدِي الكَـــافِرِينَ رَهِينَةٌ وَقَـدْ هُـتِكَتْ بِالـرَّغْمِ مِنْـهَا سُتُورُهَا
وَقَدْ لُطِمَتْ -وَاحَرَ قلبي-! خُـدُودُهَا وَقَدْ أُسْبِلَـتْ -وَادْمَعَ عَيْنِي- شُعُورُهَا
وَإِنْ تَسْتَغِثْ بِـــاللهِ وَالدِّينُ لَا تُغَـثْ وَإِنْ تَسْتَجِرْ ذَا رَحْمَـــةٍ لَا يُجِيـــرُهَا
وَقَـــدْ حِيلَ مَا بَيْنَ الشَّقِيقِ وَبَيْنَـــهَا وَأَسْلَمَـــهَا آبَـــاؤُهَا وَعَشِيـــرُهَا
وَكَـــمْ مِـنْ عَجُوزٍ يُحْرَمُ المَاءُ ظَمَؤُهَا عَـــلَى الـــذُّلِّ يُطْوَى لَبْثُهَا وَمَسِيـرُهَا
وَشَيْـــخٍ عَـــلَى الإِسْلامِ شَابَتْ شُيُوبُهُ يُـــمَزِّقُ مِنْ بَعْـــدِ الوَقَـــارِ قَتِيرُهَا
وَكَـــمْ فِيهِـــمْ مِنْ مَهْجَةٍ ذَاتَ ضَـجَّةٍ تُـــوَدُّ لَوْ انْضَمَّتْ عَلَيْـــهَا قُبُـــورُهَا

[1]– الغنصال Gonzalo ورمير Ramero، من الأسماء الإسبانية التي كان ينطقها العرب وبها كان يسمى عدد من ملوكها وقوادها، وينظر: المرجع السابق، ص: 338.

لَـــهَا رَوْعَـــةٌ مِنْ وَقْعَةِ البَيْنِ، دَائِـــمٌ أَسَـــاهَا، وَعَيْنٌ لَا يَكُـــفُّ هَدِيـــرُهَا
وَكَـــمْ مِـنْ صَغِيرٍ حِيزَ مِنْ حَجْرِ أُمِّهِ فَأَكْبَـــادُهَا حَـــرَّاءُ، لَفْـــحٌ هَجِيـــرُهَا
وَكَـــمْ مِـنْ صَغِيرٍ بَدَّلَ الدَّهْـــرُ دِينَهُ وَهَـــلْ يَتْبَعُ الشَّيْطَـــانُ إِلَّا صَغِيرُهَـــا
وَكَـــمْ مِـنْ شَقِيٍّ يَسَّـــرَتْ هَذِهِ لَـــهُ سَبِيـــلًا إِلَـــى العُسْرَى يَحِيـــفُ كُفُورُهَا
كُـــرُوبٌ وَأَحْـــزَانٌ يَلِينُ لَهَا الصَّـــفَا عَـــوَاقِبُهَا مَحْـــذُورَةٌ وَشُـــرُورُهَـــا
وَيَـــا غُـــرْبَةَ الإِسْلَامِ بَيْنَ خِلَالِـــهَا وَيَـــا عَثْـــرَةً أَنَّى يُقَـــالُ عُثُـــورُهَـــا
وَيَـــا لَيْتَ أُمِّـــي لَـــمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي بَلِيـــتُ وَلَـــمْ يَفْلَحْ فُـــؤَادِي حُـــرُورُهَا[1]

فقد وصف الشاعر الحالة التي وصلت إليها نساء المسلمين وبناتهم من سبي وهتك الأعراض وكشف للستور، وكيف لطمت خدودها، وحتى العجائز لم يسلمنا من بطش الكفار، فقد حرمن حتى من شرب الماء، ومعروف عن العربي أنه لا يقبل أن يهتك عرضه، وليبين فظاعة الأمر أكثر الشاعر من استعمال كم الخبرية التي تدل على الأمر جلل ولا يتقبل التأخر عن في نجدتهم ثم تمنى الشاعر لو لم تلده أمه حتى لا يعيش الحالة التي آلت إليها الأندلس، فقد انتقل الشاعر إلى تصوير الفظائع التي ارتكبها أهل الشرك مع أهل التوحيد بعد إخراجهم من ديارهم والتنكيل بهم.[2]

ويضيف الشاعر في وصف ما يحدث في رندة، ولكن هذه المرة تختلط أحلام العودة لدى الشاعر بواقع المأساة التي تعيشها الأندلس بكل ما فيها ومن فيها، مع تمنيه لعودة الإسلام إليها، وشوقه لسماع صوت الأذان في مآذنها فيقول:[3]

وَيَـــا مِلَّةَ الإِسْـــلَامِ هَـــلْ لَكَ عَودَةٌ لِأَرْجَـــائِهَا يَشْفِـــي الصُّـــدُورَ صُدُورُهَا
وَهَلْ تَسْمَعُ الآذَانُ صَـــوْتَ الأَذَانِ فِي مَعَالِمِـــهَا تَعْـــلُو بِذَاكَ عَقِيـــــرُهَا
وَيَـــا لَعَـــزَاءِ المُـــؤْمِنِينَ لِفَـــاقَةٍ عَلَى الرَّغْمِ، أَغْـــنَى مَنْ لَدَيْهَا فَقِيـــرُهَا
لِأَنْدَلُسٍ ارتَجَّـــتْ لَـــهَا وَتَضَعْضَعَتْ وَحَـــقَّ لَـــدَيْهَا مَـــحْوُهَا وُدُثُـــــورُهَا
مَنَـــازِلُهَا مَـــصْدُورَةٌ وَبَـــطَائِحُـــهَا مَـــدَائِنُـــهَا مَـــوْتُورَةٌ وَثُـــغُورُهَـــا

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 338-339.
[2]– ينظر: **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 429.
[3]– ينظر: **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 424.

لَهَـــائِمُهَا مَفْـــجُوعَةٌ وَنُجُـــودُهَا وَأَحْـــجَارُهَـا مَصْـدُوعَةٌ وَثُغُـــورُهَا
وَقَـــدْ لَبِسَـتْ ثَوْبَ الحِدَادِ وَمَزَّقَتْ مَـلَابِسَ حُسْنٍ كَـــانَ يَـزْهُو حُبُورُهَا
فَأَحِيَـاؤُهَا تُبْـدِي الأَسَى وَجَمَـادُهَا يَكَـادُ لِفَـرْطِ الحُـــزْنِ يَبْدُو ضَمِيرُهَا
لَـــوْ أَنَّ ذَا إِلْـــفٍ مِنَ البَيْنِ هَالِـكٌ لَـذَابَتْ رَوَاسِيـهَا وَغَـاضَتْ بُحُـورُهَا
عَـلَى فُـــرْقَةِ الدِّينِ الَّذِي جَـاءَهَا بِهِ بَـــشِيـــرُ الأَنَـــامِ وَنَـــذِيرُهَـا[1]

لكن الشاعر لا يكتفي برثاء رندة فقط، بل يرثي بقية مدن الأندلس، حيث "إذا ما فرغ الشاعر من رثاء رندة إنتقل، وبالأسلوب السابق، إلى رثاء مالقة، فبلش، فالمنكب، فغرناطة، فوادي آش، فبسطة، فألمرية وطنه الأول، وإلى هنا لا يسع الشاعر إلا أن يعترف بأن مسؤولية ضياع الأندلس لا تقع إلا على عاتق أهلها الذين أضاعوا دين الله فأضاعهم الله فيقول:[2]

أَضَعْنَا حُقُوقَ الرَّبِّ حَـتَّى أَضَـــاعَنَا وَقَضَتْ عُـرَى الإِسْـلَامِ إِلَّا يَسِيرُهَا
وَمِلَّتُنَا لَـــمْ نَعْـرِفْ الدَّهْرَ عُـــرْفَـهَا مِـنَ النُّكْرِ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ نَـكِيرُهَا
بِشَقْوَتِنَا الخِـذْلَانُ صَـاحِبَ جَـمْعَنَا وَبُـــؤْنَا بِـأَحْوَالِ ذَمِيمٍ حُضُـــورُهَـــا
بِعِـــصْيَانِـــنَا اسْتَـــوْلَى عَلَيْـنَا عَدُوُّنَا وَعَـــاثَتْ بِـــنَا أُسْـــدُ العِـدَا وَنُمُـورُهَا
نَعَـــمْ سَلَبُـــوا أَوْطَانَنَـــا وَنُفُوسَـــنَا وَأَمْـــوَالَـــنَا فِيـئًا أُبِيحَـتْ وُفُـــورُهَـــا
عَلَوْهَا بِـلَا مَـهْرٍ وَمَـا غُمِـزَتْ لَهُمْ قَنَـــاةٌ، وَلَا غَـــارَتْ عَلَيْـهِمْ ذُكُورُهَـــا
وَقَدْ عَـوَتِ الإِفْرَنْجُ مِـنْ كُلِّ شَـاهِقٍ عَلَيْنَا، فَـــوَفَّتْ لِلصَّلِيـبِ نُـــذُورُهَـا
وَجَـاءَ إِلَـى اسْتِئْـصَالِ شَـأْنِهِ بَيْـنَنَا جُيُـوشٌ كَمَوْجِ البَحْرِ هَبَّتْ دُبُـورُهَا[3]

وبعد هذا الاعتراف بتقصيرهم في دين الله وعدم المحافظة عليه، حتى عاقبهم الله بأن سلط عليهم أعداءهم، راح يرثي مدن الأندلس ويبكي حالها الواحدة تلوى الأخرى.

**رثاء مالقة وما حولها:**

فَـــمَالِقَةُ الحَسْنَـاءُ تَكْلَى أَسِيـــفَةٌ قَدِ اسْتُفْرِغَـتْ ذَبْـحًا وَقَتْلًا حُجُورُهَا

---

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 339.

[2]– المرجع السابق: ص: 424.

[3]– المرجع السابق: ص: 424.

وَجُـــزَّتْ نَوَاصِيهَا وَشُلَّـــتْ يَمِينُـــهَا وَبُـــدِّلَ بِـــالوَيْلِ المُبِيـنِ سُـــرُورُهَا
وَقَـــدْ كَـــانَتِ الغَـــرْبِيَةُ الجُـــنَنَ تَقِيـهَا فَأَضْـحَى جَنَّـةَ الحَرْبِ سُورُهَا
وَبَلِـــشُ قُطَّـــتْ رِجْلُـــهَا بِيَمِينِـــهَا وَمِـنْ سَـرَيَانِ الـدَّاءِ بَـانَ قُطُـورُهَا
وَضَحَّتْ عَلَى تِلْكَ الثَّنِيَاتِ حُـجْرُهَا فَـأَقْفَرَ مُغْنَـاهَا وَطَاشَتْ حُـجُورُهَا
وَبِـــاللهِ إِنْ جِئْتَ المُنَكِّـبَ فَاعْتَبِـرْ فَقَدْ خَـفَّ نَـادِيهَا وَجَفَّ نَضِيـرُهَا
وَسُكَّرُهَـــا قَـدْ بُدِّلَ اليَـوْمَ عَلْقَـمًا لَهَـــا رَجَّـةٌ، نَـــارُ الهُيَـامِ تُثِيـرُهَا
وَعَرِّجْ عَلَـى الإِقْـلِيمِ فَابْكِ رُبُوعَـهَا بِسُحْبٍ يُضَـاهِي المُعْصِرَاتِ خَـرِيرُهَا
وَوَدِّعْ بِـــهَا وَفْـــدَ النَّعِيـــمِ فَإِنَّـــهَا لَهَـا أَدْمُـعٌ، فَيْـنُ الدُّمُوعِ يُمِيـرُهَا[1]

**بكاء غرناطة وما حولها:**

بعد رثاء ملقة عرج الشاعر على البكاء على غرناطة ورثائها فيقول:

أَلَا وَلِتَقِـفْ رَكْـبَ الأَسَـى بِمَعَالِمٍ قَـدِ ارْتَـجَّ بَـادِيهَا وَضَـجَّ حُضُورُهَا
بِـدَارِ العُـلَى حَيْثُ الصِّفَاتُ كَأَنَّـهَا مِنَ الخُـلْدِ وَالمَأْوَى غَدَتْ تَسْتَطِيرُهَا
مَحَـلُّ قَـرَارِ المُلْـكِ غَرْنَـاطَةُ الَّتِي هِـيَ الحَضْـرَةُ العُلْـيَا زَهْتَهَا زُهُورُهَا
فَمَـا فِي العِرَاقَيْـنِ العَتِيقَيْـنِ مِثْلُـهَا وَلَا فِـــي بِـــلَادِ اللهِ طُـرَا نَظِيـــرُهَا
تَـرَى الأَسَى أَعْـلَامُهَا وَهِيَ خُشَّـعٌ وَمَـنْبَـرُهَا مُسْتَعْبَـــرٌ وَسَـرِيرُهَا
وَمَأْمُومُـــهَا سَاهِـي الحُجَى وَإِمَـامُهَا وَزَائِـــرُهَـــا فِي مَأْتَـــمٍ وَمَـزُورُهَـــا
لَـهَا حَالُ نَفْسٍ قَـدْ أُصِيبَ فُؤَادُهَا وَبَتَّـــتْ لَـــهَا اليُمْنَى وَحَـمَّ تُبُـورُهَـا
فَـأَنْفُسُهَا فِي الصَّعْـقِ دُونَ إِفَـــاقَةٍ كَـــنَفْسِ كَلِيـمُ اللهِ إِذْ دُكَّ طُـــورُهَا
وَقَـدْ ذُعِرَتْ تِلْـكَ البِنْيَـاتُ حَوْلَـهَا فَهُـنَّ بَـوَاكِي الأَعْيُـنِ الـرَّمْدِ مُورُهَا[2]

**رثاء ألمرية:**

ويمضي الشاعر في رثاء الإمارات الأندلسية التي لم تصمد أمام الغزو الصليبي، وبدأت تتهاو أمام الحملات المتتالية التي شنها عليها الإسبان، وهذه المرة يرثي ألمرية فيقول:

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 340.
[2]– المرجع نفسه: ص: 340.

وَمَـا أُنْـسٌ إِلَّا أُنْـسُ أَلْمِرْيَةُ إِنَّهَا قَتِيلَـةُ أَوْجَـالٍ أُزِيـلَ عِـذَارُهَـا
فَلَوْ أُحْرِقَ الثُّكْلُ المُصَابِينَ أَصْبَحَتْ تَـأَجَّـجَ مِـنْ حَرِّ الوَجِيفِ بُـحُورُهَا
فَيَـا أَصْـدِقَائِي وَدِّعُـوهَا كَـرِيمَةً أَوْ اسْتَـوْدَعُوهَـا مَـنْ إِلَيْـهِ أُمُـورُهَا
مَنَـازِلَ آبَـائِي الكِـرَامِ وَمُنْـشِئٍ وَأَوَّلُ أَوْطَـانِ غَـذَّانِـي خَيْـرُهَـا
وَاقْـرَوْا عَلَيْـهَا مِـنْ سَلَامِي تَـحِيَّةً تُـجَدِّدُهَا آصَـالُـهَا وَبُـكُورُهَـا
أَمَانَاتُـهَا ضَـاعَتْ فَضَاعَتْ رِقَـابُهَا لَقَـدْ عَمِيَـتْ عَيْـنٌ تَبَـدَّدَ نُـورُهَـا

بعد البكاء ورثائه لممالك الأندلس التي اصبحت هدفا سائغا للأعداء، يوجه الشاعر نداء استغاثة إلى المسلمين لنجدة إخوانهم فهو "لم يستلم إلى اليأس من استعادة الأندلس ولهذا يستغيث بمعاشر أهل الدين ويستنفرهم، ويهيب بهم أن يستعدوا للجهاد ونصرة دين الله، لأن الله لا يخذل أمة تدين بدين الحق"، وفي ذلك يقول:[1]

مَعَـاشِرَ أَهْـلَ الدِّينِ هُبُّـوا لِصَعْقَـةٍ وَصَـاعِقَةٍ وَارَى الجُسُـومَ ظُـهُورُهَا
أَصَـابَتْ مَنَـارَ الـدِّينِ فَانْهَـدَّ رُكْنُهُ وَزَعْـزَعَ مِـنْ أَكْنَـافِهِ مُـسْتَطِيرُهَـا
أَدَارَتْ عَـلَى غَرْبِيَةَ الـدَّهْرِ أُكْـؤُسًا قِطَـاعًا بِسُكْرِ الـدَّهْرِ تَقْضِي حُمُورُهَا
وَدَبَّتْ أَفَـاعِيـهَا إِلَى كُـلِّ مُؤْمِـنٍ وَعَـضَّ بِـأَكْبَادِ التُّقَـاةِ عُـقُورُهَـا
أُنَادِي لَـهَا عُجْمَ الرِّجَـالِ وَعُـرْبُـهَا نِـدَاءَ سُـرَاةِ القَفْـرِ إِذْ ضَلَّ عِيـرُهَا
وَأَسْتَنْفِـرُ الأَدْنَى فَـالأَدْنَى فَـرِيضَـةً عَلَى زُمَـرِ الإِسْلَامِ جَلَّـتْ أُجُـورُهَا
عَـلَى كُـلِّ مُحْتَاجٍ لِفَضْلِ دِفَـاعِهَا فَلَيْـسَ يُـؤَدِّي الفَـرْضَ إِلَّا نَفِيـرُهَـا
أَلَا وَارِجَـعُوا يَـا آلَ دِيـنِ مُحَمَّـدٍ إِلَى اللهِ يَغْفِرْ مَـا اجْتَـرَحْتُمْ غُفُـورُهَـا
أَنِيبُـوا وَتُوبُـوا وَاصِبِـرُوا وَتَصَـدَّقُـوا وَرُدُّوا ظُـلَامَـاتٍ يَبِيـدُ نَقِيـرُهَـا
وَمِـنْ كُـلِّ مَا يُرْدِي النُّفُوسَ تَطَهَّرُوا فَلَيْـسَ يُـزَكِّي النَّفْـسَ إِلَّا طُهُـورُهَا
أَلَا وَاسْتَعِـدُّوا لِلْجِهَـادِ عَـزَائِمًا يَلُـوحُ عَـلَى لَيْـلِ الوَغَى مُـسْتَنِيـرُهَـا[2]
بِأَسْـدٍ عَلَى جُـرْدٍ مِنَ الخَيْلِ سُبَّـقٍ يَـدُعُّ الأَعَـادِي سَبْقُـهَا وَزَئِيـرُهَا
بِـأَنْفُسِ صِدْقٍ مُـوقِنَاتٍ بِأَنَّـهَا إِلَى اللهِ مِنْ تَحْـتِ السُّيُـوفِ مَصِيـرُهَا

[1]– **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 342.

[2]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 342.

تَــرُومُ إِلَى دَارِ السَّــلَامِ عَــرَائِسًــا عَلَــى اللهِ فِي ذَاكَ النَّــعِيمِ مُهُــورُهَا
وَضَرْبٍ كَــأَنَّ الهَـامَ تَحْتَ ظِلَالِهَا حُثَــالَةُ نُــورِ الــوَرْدِ ذُرَّ ذُرُورُهَــا
وَطَعْــنٍ يَــرَى الخَطِيَّ فِي مُهْجِ العِدَا كَــأَقْلَامِ ذَاتِ الخَــطِّ خُطَّتْ سُطُورُهَا
يَمِيــنُ الهُدَى إِنْ تَتَّقُوا اللهَ تُنْصَرُوا وَتَــحْظَوْا بِآمَــالٍ يَشُــوقُ غَــرِيرُهَــا
فَــلَا يَــخْذُلُ الــرَّبُّ الـمُهَيْمِنُ أُمَّــةً تَــدِينُ بِــدِينِ الحَــقِّ وَهُوَ نَصِيــرُهَا
وَإِنْ أَنْتُمْ لَــمْ تَفْعَــلُوا فَتَــرَقَّبُوا بَــوَادِرَ سُخْــطٍ لَيْسَ يُرْجَى فُتُــورُهَا
وَأَيَّــامَ ذُلٍّ وَاهْتِضَــامٍ وَفِــرْقَةٍ يُطَــاوِلُ آنَــاءَ الزَّمَــانِ قَصِيــرُهَا
وَأَهْدُوا لِــدِينِ الشِّــرْكِ كُــلَّ خَرِيدَةٍ خَبَتْــهَا عَلَى طُولِ اللَّيَالِي خُــدُورُهَا
وَكُــلُّ نَفْسٍ مِنْ نُفُــوسٍ كَرِيـمَةٍ وَأَعْـلَاقِ أَمْــوَالٍ خَطِيــرٌ خَطِيـرَهَا
وَحَقِّ عَظِيمِ الشَّأْنِ لَا عَيْشَ بَعْدَهَــا بَــلَايَا يَــمُرُّ الطَّيِّبَــاتِ مُــرُورُهَــا
فَتَــرْفَعُ شَكْــوَاهَا لِعَالِــمِ سِــرِّهَا فَلَيْسَ لَــهَا فِي الخَبَــرِ إِلَّا خَــبِيــرُهَــا
تَمُــدُّ أَكُــفَّ الذُّلِّ فِي بــابِ عِزِّهِ بِــأَفْئِدَةٍ خَــوْفِ الفِــرَاقِ يَطِيــرُهَا
فَإِنْ لَــمْ يَقُلْ رَبُّ العِبَــادِ عِثَــارُنَا فَهَــذَا العَــدُوُّ الضَّخْمُ حَتْــمًا يُبِيــرُهَا[1]

وفي آخر القصيدة يتوجه الشاعر بالدعاء إلى الله لإغاثة المستغيثين، وكأنه رأى أن هذه الاستغاثة لا جدوى منها، وأنها كالإستغاثات السابقة الكثيرة التي تقدمتها لن تلقى من ملوك المسلمين سمعا أو مجيبا، ولذلك عدل عنها إلى الاستغاثة بالله مناجيا إياه فيقول:[2]

إِلَهُ الوَرَى، نَدْعُوكَ يَــا خَيْرَ مُرْتَــجَى لِكَــالِحَةٍ هَزَّ الصَّلِيــبُ سُــرُورُهَــا
وَشَقَّتْ جُيُوبَ الـمُؤْمِنِينَ وَأَسْخَنَتْ عُيُونَــهُمُ وَالكُفْــرُ ظَــلَّ قَــرِيرُهَا
وَلَيْسَ لَـهَا يَا كَاشِفَ الكَرْبِ مَلْجَأً إِذَا لَــمْ يَكُــنْ مِنْــكَ التَّلَافِي ظَهِيــرُهَا
أَغِثْ دَعَــوَاتِ الــمُسْتَغِيثِينَ إِنَّــهُمْ بِبَــابِكَ مَــوْقُوفُو الحُشَاشَاتِ بُــورُهَا
وَلَيْسَ لَــهُمْ إِلَّا الــرَّسُولُ وَسِيــلَةً شَفِيعَ الــوَرَى، يَوْمَ التَّنَادِي بَشِــيــرُهَا
إِمَامُ الـهُدَى، بَحْرُ النِّـدَا، قَامِعِ العِدَا وَأَوَّلُ رُسُــلُ اللهِ فَضْــلًا وَأَخِيــرُهَا
مُحَمَّــدٌ الـمُخْتَــارُ مِنْ آلِ هَــاشِمٍ سِــرَاجُ السَّمَــوَاتِ العُــلَى وَمُنِيرُهَا

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 342.

[2]– ينظر: **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، ص: 425.

دَعَـوْنَاكَ، أَمَّلْنَاكَ، جِئْنَـاكَ خُشَّعًا بِـأَنْفُسٍ اسْتَـوْلَى عَلَيْـهَا قُصُـورُهَا
بِجَـاهِ العَظِيمِ الجَـاهِ أَدْرِكْ ذُمَـاءَنَا بِرَحْـمَى يَـحْلَى الـمُؤْمِنِينَ شُـذُورُهَا
وَعَفْـوٌ وَتَـأْيِيدٌ وَنَـصْرٌ مُـؤَزَّرٍ وَعِـزَّةُ سُلْطَـانٍ يَـرُوقُ طَـرِيرُهَا
وَلُطْفٌ وَتَسْدِيدٌ وَجَبْـرٌ لِمَا مَضَى يَـدُلُّ بِهِ مِـنْ كُلِّ عَـادٍ كَسِيـرُهَا
وَأَرْسِـلْ عَلَى هَـذَا العَـدُوِّ رَزِيَّةً يَـرُوحُ وَيَـغْدُو بِـالبَوَارِ مُبِيـرُهَا
يُشَتِّتُ شَمْـلَ الكُفْرِ تَشْتِيتَ نِقْمَةٍ وَيُنَظِّـمُ شَمْلَ الـمُؤْمِنِينَ حَـصِيرُهَا
وَصَـلِّ عَلَى خَيْـرِ البَـرِيَّةِ أَحْمَدٍ وَأَكْـرِمْ مَـنْ قَـدْ أَنْـجَبَتْهُ ظُهُـورُهَا
وَأَصْحَـابُـهُ الشُّهْبُ الـهُدَاةُ وَآلُهُ صَـلَاةٌ مَعَ الآنَـاءِ يَـزْكُو عَبِيـرُهَا[1]

بعد أن استغاث الشاعر بالله لنصرة المؤمنين، توسل إليه بالرسول- صلى الله عليه وسلم- أن ينصرهم على أعدائهم نصر مؤزرا، وأن يجبر خواطرهم لما مضى، وما عانوه، وأن يعيد للمؤمنين عزتهم ، وأن يشتت شمل الكفار، وأن يجمع شمل المؤمنين، "وقد أكثر شعراء الاستغاثة من أسلوب الاستفهام الذي جاء للتنديد بالمتقاعسين، والتهكم من أولئك المتخاذلين والتعجب من أولئك الذين صمت آذانهم عن الاستماع إلى الصراخات المتوالية، والضجر من الاستبطاء واللامبالاة ، وجاء أسلوب النداء مرة بالهمرة وأخرى بالياء للمديح والتهكم والتوبيخ والتعجب، كما ورد اسلوب الأمر عند كثير هؤلاء الشعراء الإلهام والهمم والإلحاح على الإسراع لنجدة المدن المنكوبة، وتدل هذه الأساليب عمق عاطفة الشعراء الحزينة وشدة أحاسيسهم المتألمة وحالة الحزن المسيطرة عليه، وهي تعبر عن صدق عاطفة هؤلاء الشعراء.[2]

هذا غيض من فيض، لأن كتب الأدب الأندلس تزخر بقصائد الاستغاثة والاستنجاد التي نظمها الشعراء اقتطفنا منها بعض النتف لنقف على هذا اللون من الشعر الذي شاع في الأندلس.

[1]– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 343.

[2]– **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، ص: 72.

# خـــــاتمة

**خاتمة:**

وفي الختام يمكن القول أن ثنائية الاستغاثة ورثاء المدن في الشعر الأندلسي، عُرفت منذ بدايتها بوصف وجدان الشعراء جراء مأساتهم وقهرهم على سقوط مُدنهم واستنجادهم لإنقاذها وذلك من خلال قصائدهم المختلفة ورثائهم لمدنهم في ظل التقلبات السياسية والحرب، التي انعكست على الحياة الاجتماعية للأندلسيين مما أدي بالشاعر إلى التعاطف معهم والأسى على حالهم.

وخلاصة القول أن هاته الثنائية أخذت مسارًا واسعًا وانتشارًا شاسعًا في بلاد الأندلس فالغرض منها إيصال رسائلهم الحزينة وحسرتهم على بلادهم.

ونسأل الله التوفيق، حتى ةإن بلغ الإنسان ما بلغ من العلم فإنه لن يبلغ نهايته، فالعلم بحر من خاض بطليه أبحر فيه.

والحمد لله الذي أنعم علينا بالعقل وبالله تتم الطيبات

**ملخص:**

يهدف هذا البحث إلى معرفة العلاقة بين ثنائية الاستغاثة ورثاء المدن في الشعر الأندلسي، كما يبين لنا كيفية انتشار هذا النوع من الأغراض الشعرية.

ففيه تطرقنا إلى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في الأندلس أثناء الحكم الإسلامي، كما عرفنا مصطلح الرثاء (رثاء المدن، رثاء الأشخاص، رثاء الأنفس) وأيضا الاستغاثة أو الاستنجاد في الشعر الأندلسي، وأخذنا فيها مختلف النماذج، وذلك اعتمادا على المنهج الوصفي الذي يقوم على تتبع الأغراض الشعرية فقد وجدت أن هذين الغرضين من الشعر قد شاعا في الأدب الأندلسي حتى أصبح الشعراء يؤلفون فيهما القصائد الطوال، فكان هاذان الغرضان بمثابة الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها الشعراء الأندلسيون لطلب النجدة من إخوانهم في المغرب العربي.

وخلصت الدراسة إلى وجود علاقة وطيدة وارتباطية بين الاستغاثة ورثاء المدن في الشعر الأندلسي.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم، رواية ورش.**

– سورة الأنفال: {الآية 09}

❖ **المصادر والمراجع:**

– **ابن الأبّار**: ديوان ابن الأبّار، قراءة وتعليق، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دط، 1420هـ-1999م.

– **ابن اللبانة الداني**: الديوان، تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2008.

– **ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد)**: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب دمشق، ط1، 1425هـ/ 2004م.

– **ابن زيدون**: الديوان، دراسة وتهذيب: عبد الله سنده، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

– **ابن سعيد الأندلسي**: المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق: سعيد حنفي حسنين، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2004.

– **ابن سيدة (علي ابن اسماعيل)**: المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: مراد كامل، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1، 1392هـ - 1973م.

– **ابن شهيد الأندلسي**: الديوان.

– **ابن فارس (أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا)**: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط2، 1399هـ - 1979م، ج4، باب الغين.

– **ابن منظور**: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، باب الحاء.

– **أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري**: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ-2013م، ج3.

– **أبو الفرج قدامة بن جعفر**: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

– **أحمد بن محمد المقري التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط، 1388هـ/1968م، مج1.

– **أمحمد بن لخضر فورار**: الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الدوكتوراه دولة في الأدب العربي القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، العام الجامعي، 2004-2005.

– **الأمير شكيب أرسلان**: خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1403هـ-1983م.

– **جابر عصفور**: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 1995.

– **الخليل بن أحمد الفراهيدي**: معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، مصر، دت، ج8.

– **الخنساء**: الديوان، تحقيق: حمد وطماس، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2004.

– **الزبيدي (محمد مرتضى الحسين)**: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حومة الكويت، ط 1389هـ - 1969م، ج5 باب الثاء.

– **الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام)**: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، 1997، مج1.

– **شوقي ضيف**: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ج8.

– **شوقي ضيف**: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، دت.

– **الطاهر أحمد مكي**: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987.

– **عبد الرؤوف أبو السعد**: مفهوم الشعر العربي في ضوء نظريات النقد العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، دت.

– **عبد العزيز عتيق**: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1396هـ - 1976م.

– **عبد العزيز محمد عيسى**: الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، مصر، دط، دت.

– **عبد الله كنون**: النبوغ المغربي في الأدب العربي، طنجة، المغرب، ط2، دت، ج3، ص: 881.

– **فخر الدين الرازي**: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط، 1401هـ- 1981م، مج 15.

– **القرطبي (ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)**: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1428 هـ - 2006 م، ج9.

– **الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)**: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط2، 1419هـ-1998م.

– **لسان الدين بن الخطيب**: الديوان، تحقيق: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، مج1.

– **ليفي برونفسال**: حضارة العرب في الأندلس، تر، دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، دت.

– **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)**: التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.

– **محمد رضوان الداية**: في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر دمشق، سورية، ط1، 1421هـ -2000.

– **محمد سعيد محمد**: دراسات في الأدب الأندلسي، منشورات جامعة سبها، سبها، ليبيا، ط1، 2001.

– **محمد عبد الله عنان**: دولة الإسلام في الأندلس، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4 ،1417هـ-1997م.

– **النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)**: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحي الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج5.

❖ **الرسائل:**

– **خالد شكر محمود صالح الفراجي**: شعر الرصافي الرفاء البلنسي، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1424هـ-2003م.

– **رانية أحمد ابراهيم أبو لبدة**: شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007.

– **نميري تاج السر أحمد لقمان**: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، اتجاهاته وخصائصه الفنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية قسم الدراسات الأدبية والنقدية، 1426هـ/2005م.

❖ **المجلات:**

– **الرندي (أبو البقاء صالح بن الشريف)**: الوافي في نظم القوافي، تحقيق: إنقاذ عطا الله محسن، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد 1، 2009.

❖ **الدراسات:**

– **إميليو غومس، داما سوأ لونسو وماريا خيسوس بيجيرا:** ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، تر، محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1999.

– **لويس شيخو اليسوعي:** رياض الأدب في مراثي شواعر العرب، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، دط، 1897.

# الفهـــــــرس

إهداء

تشـكرات

مـقدمة..... أ-هـ

**مدخل: الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في الأندلس أثناء الحكم الإسلامي**

1- تمهيـد..... 1

2- الأنـدلس..... 2-1

3- الحياة السياسية في الأندلس (عصر الولاة، الدولة الأموية، ملوك الطوائف)..... 6-3

4- الحياة الاجتماعية والفكرية في الأندلس..... 8-6

5- أسباب ازدهار العلم والأدب في الأندلس (تشجيع الأمراء والخلفاء، رحلة العلماء المشارقة إلى الأندلس، رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق، جمع المؤلفات وإقامة المكتبـات...)..... 10-8

6- الشعر العربي الأندلس..... 12-10

7- فنون الشعر في الأندلس..... 16-12

**الفصـل الأول: الرثاء في الشعر الأندلسي**

تمهيـد..... 19

الرثاء لغـــة..... 20

الـرثاء اصطلاحـا..... 23-21

المبحث الأول: رثاء المدن..... 33-24

المبحث الثاني: رثاء الأشخاص..... 45-34

المبحث الثالث: رثاء الأنفس..... 52-46

**الفصـل الثاني: الاستغاثة في الشعر الأندلسي**

تمـــهيد..... 55

الاستغاثة لغـة..... 57-55

الاستغاثة اصطلاحـا..... 64-57

1- استغاثة ابن الأحمر بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني..... 67-64

2- قصيدة أبو موسى هارون بن هارون إلى المعتضد بلله السعيد..... 68-71
3- قصيدة ابن الأّبار في طلب النجدة من صاحب إفريقية..... 72-76
4- قصيدة مجهول صاحبها يستنجد صاحبها بلسلطان العثماني بيزيد..... 76-85
خـاتمة..... 87
قائـمة المصـادر والمراجع..... 89-94